ق والقرآن المجيد

مجلة فصلية تهتم بالشأن القرآني تصدر عن
قسم الشؤون الفكرية والإعلام في العتبة الكاظمية المقدسة
العدد ٥٢/ الفصل الثاني / السنة الرابعة/ ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

قسم الشؤون الفكرية والإعلام
العتبة الكاظمية المقدسة
مجلة فصلية تهتم بالشأن القرآني
العدد ٥٢ - الفصل الثاني
السنة الرابعة/ ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق الوطنية
ببغداد (١٨٤٧) لسنة ٢٠١٣
زورونا: www.aljawadain.org

١٤

١٢ الدليل القرآني والعقلي في الرد على مبنى الاكتفاء بالقرآن
٢٢ بضاعة المفلسين
٢٦ إن في الأنعام لعبرة
٢٨ الإمامة في رحاب القرآن والسُنة
٣٠ حماية المرأة في النصوص القرآنية
٣٦ إياك وسوء الظن

رئيس التحرير
الشيخ عدي الكاظمي

سكرتير التحرير
الشيخ نجم عبد الرضا

السلامة الفكرية
الشيخ عماد الكاظمي

التدقيق اللغوي
مهدي جناح الكاظمي

التصميم والإخراج الفني
عبدالله جاسم محمد

النَّصْرُ .. والثَّبَاتُ

إنّ الله تعالى قد وعد عباده المؤمنين بنصرهم وتأييدهم في آياتٍ متعددة، وفي ذلك كمال الوثوق والاطمئنان للعبد في علاقته مع ربه، فالعلاقة بين العبد ومولاه يجب أن تكون واضحة المعالم والسُبل؛ ليتم تحقيق الاية بوثوق واطمئنان كاملين، ومن ذلك ما أشار إليه تعالى بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ فالنصر مفهوم له مصاديق متعددة، معنوية ومادية، ويقيناً أن النصر الإلهي هو أعظم من نصر عبده؛ لأنه صادرٌ من المطلق تجاه المحدود، وهناك شواهد إنسانية كثيرة على ذلك، فقد أفاض الله تعالى على نصره لعباده المؤمنين الثبات والرسوخ من خلال وعده العظيم في الآية المباركة .. وإن أعظم تجليات النصر المتبادل التي نعيشها اليوم هي تلك الاستجابة المباركة الفريدة من المؤمنين لنداء الشريعة المقدسة، لفتوى سماحة السيد علي السيستاني (دام ظله) في فتوى الجهاد الكفائي ضد خوارج العصر وبغاته، فكانت تلك التضحيات العظيمة التي تشرف بها المؤمنون في نصرهم اللهُ عزّ وجلّ، وما قدّموه من غالٍ ونفيس، فأثمر ذلك النصر الإيماني العظيم نصراً إلهياً أعظم، سيبقى خالداً ذكره مدى الأيام، والحفاظ على روحه ومعالمه وآثاره، من خلال التمسك بنهج الثقلين - القرآن والعترة - لنكون في رحاب نصره تعالى دائماً .. والحمد لله رب العالمين.

الشيخ عدي حاتم الكاظمي

علوم القرآن الكريم

في تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي

أسماء القرآن الكريم ومعانيها

القسم الثاني

تحدثنا في العدد السابق عن أسماء ثلاثة من أسماء القرآن الكريم وهي (القرآن، الفرقان، الذكر)، ونكمل الحديث في هذا القسم عن أسماء أخرى:

٤- الحكيم: ﴿يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ- إلى قوله- فَهُمْ غافِلُونَ﴾[1] إقسام منه تعالى بالقرآن الحكيم على كون النبي ﷺ من المرسلين، وقد وصف القرآن بالحكيم لكونه مستقرا فيه الحكمة وهي حقائق المعارف وما يتفرع عليها من الشرائع والعبر والمواعظ[2].

* المراد بالكتاب الحكيم هو الكتاب الذي استقرت فيه الحكمة، وربما قيل: إن الحكيم من الفعيل بمعنى المفعول والمراد به المحكم غير القابل للانثلام والفساد، والكتاب الذي هذا شأنه- وقد وصفه تعالى في الآية التالية بأنه من الوحي- هو القرآن المنزل على النبي ﷺ[3].

* وقد وصف الكتاب بالحكيم إشعارا بأنه ليس من لهو الحديث من شيء بل كتاب لا انثلام فيه ليداخله لهو الحديث وباطل القول، ووصفه أيضا بأنه هدى ورحمة للمحسنين تتميمًا لصفة حكمته فهو يهدي إلى الواقع الحق ويوصل إليه لا كاللهو الشاغل للإنسان عما يهمه، وهو رحمة لا نقمة صارفة عن النعمة[4].

١- سورة يس، الآيات ١-٦.

٢- الميزان في تفسير القرآن، ج١٧، ص: ٦٣.

٣- المصدر نفسه، ج: ١، ص:٩.

٤- المصدر نفسه، ج١٦، ص: ٢١٠.

٥- التبيان: ﴿وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[5] ذكروا أنه استئناف يصف القرآن بكرائم صفاته فصفته العامة أنه تبيان لكل شيء، والتبيان والبيان واحد- كما قيل-، وإذ كان كتاب هداية لعامة الناس وذلك شأنه كان الظاهر أنَّ المراد بكل شيء كل ما يرجع إلى أمر الهداية مما يحتاج إليه الناس في اهتدائهم من المعارف الحقيقية المتعلقة بالمبدأ والمعاد، والأخلاق الفاضلة، والشرائع الإلهية، والقصص، والمواعظ، فهو تبيان لذلك كله[6].

٦- الهدى والرحمة والبشرى: ومن صفته الخاصة أي المتعلقة بالمسلمين الذين يسلمون للحق أنه هدى يهتدون به إلى مستقيم الصراط ورحمة لهم من الله سبحانه، يحوزون بالعمل بما فيه خير الدنيا والآخرة، وينالون به ثواب الله ورضوانه، وبشرى لهم يبشرهم بمغفرة من الله ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم.

هذا ما ذكروه وهو مبني على ما هو ظاهر التبيان من البيان المعهود من الكلام، وهو إظهار المقاصد من طريق الدلالة اللفظية، فإنا لا نهتدي من دلالة لفظ القرآن الكريم إلا على كليات ما تقدم، لكن في الروايات ما يدل على أنَّ القرآن فيه علم ما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، ولو صحت الروايات لكان من اللازم أنْ يكون المراد بالتبيان الأعم مما يكون من

٥- سورة النحل، الآية: ٨٩.

٦- الميزان في تفسير القرآن، ج١٢، ص: ٣٢٦.

طريق الدلالة اللفظية، فلعل هناك إشارات من غير طريق الدلالة اللفظية تكشف عن أسرار وخبايا لا سبيل للفهم المتعارف إليها[٧].

٧- الموعظة قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[٨] إلى آخر الآية. قال الراغب في المفردات: الوعظ زجر مقترن بتخويف، وقال الخليل: هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب، والعظة والموعظة الاسم، انتهى. والصدر معروف والناس لما وجدوا القلب في الصدر وهم يرون أنَّ الإنسان إنَّما يدرك ما يدرك بقلبه وبه يعقل الأمور ويحب ويبغض ويريد ويكره ويشتاق ويرجو ويتمنى، عدوا الصدر خزانة لما في القلب من أسراره والصفات الروحية التي في باطن الإنسان من فضائل ورذائل، وفي الفضائل صحة القلب واستقامته، وفي الرذائل سقمه ومرضه، والرذيلة داء يقال: شفيت صدري بكذا إذا ذهب به ما في صدره من ضيق وحرج، ويقال: شفيت قلبي، فشفاء الصدور وشفاء ما في الصدور كناية عن ذهاب ما فيها من الصفات الروحية الخبيثة التي تجلب إلى الإنسان الشقاء وتنغص عيشته السعيدة وتحرمه خير الدنيا والآخرة[٩].

٧- المصدر نفسه، ج١٢، ص: ٣٢٦.

٨- سورة يونس، الآية: ٥٧.

٩- الميزان في تفسير القرآن، ج١٠، ص: ٨١.

٨- الشفاء قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَساراً﴾[١٠] من بيانية تبين الموصول أعني قوله: (ما هُوَ شِفاءٌ) إلخ أي وننزل ما هو شفاء ورحمة وهو القرآن. وعد القرآن شفاء والشفاء إنما يكون عن مرض، دليل على أنَّ للقلوب أحوالاً، نسبة القرآن إليها نسبة الدواء الشافي إلى المرض، وهو المستفاد من كلامه سبحانه حيث ذكر أنَّ الدين الحق فطري للإنسان، فكما أنَّ للبنية الإنسانية التي سويت على الخلقة الأصلية قبل أنْ يلحق بها أحوال منافية وآثار مغايرة للتسوية الأولية استقامة طبيعية تجري عليها في أطوار الحياة كذلك لها بحسب الخلقة الأصلية عقائد حقّة في المبدأ والمعاد وما يتفرع عليهما من أصول المعارف، وأخلاق فاضلة زاكية تلائمها ويترتب عليها من الأحوال والأعمال ما يناسبها. فللإنسان صحة واستقامة روحية معنوية كما أنَّ له صحة واستقامة جسمية صورية، وله أمراض وأدواء روحية باختلال أمر الصحة الروحية كما أنَّ له أمراضًا وأدواء جسمية باختلال أمر الصحة الجسمية، ولكل داء دواء ولكل مرض شفاء[١١].

١٠- سورة الإسراء، الآية ٨٢.

١١- المصدر نفسه، ج١٣، ص: ١٨٤.

شهود على أعمالنا

تفريع على صفة العلم

تعرضنا في الحلقات السابقة إلى الأدلة العقلية على علم الله سبحانه وتعالى. وذكرنا الأدلة السمعية من قرآن وكلام للمعصومين عليهم السلام على ذلك، واستغرقت الأدلة سعة علمه واحاطته بكل صغيرة وكبيرة، وأنّه جل شأنه مُطّلع على كل أعمالنا في الملأ والخلاء وأكد على هذا المعنى في كثير من آيات القرآن المجيد؛ وهذا التكرار في التلقين لتأكيد هذه الحقيقة في النفوس كيلا تقع بما وقع به الوثنيون وبعض المنتمين للأديان السماوية الذين توهموا بأنه لا يعلم بما في النفوس، ولم يطّلع على الضمائر والمقاصد. فهم كما تحكي الآيتان (٧٦، ٧٧) من سورة البقرة إن أولياء اليهود وكبراءهم كانوا يمنعون العامة منهم أن يُحَدّثوا المسلمين عما جاء في كتبهم من صفات النبي صلى الله عليه وآله والبشارة به ظناً منهم أنّ الله سبحانه إنما يعلم علانية الأمر دون سره، ظاهره دون باطنه. وهذه النجوى فيما بينهم لا يطّلع عليها الله سبحانه، فعلمه جل شأنه كعلم الإنسان العادي يحتاج إلى الحضور كي يعلم. وهاتان الآيتان على ما تحمل من بيانٍ ومعانٍ عن هؤلاء تحذر المسلمين من الوقوع بهذا المنزلق الفكري الخطير، ويؤكد مضمونهما أنه جل شأنه غير مقيد بقيود الزمان والمكان وغيرها من قيود الموجودات الممكنة. ولشرف الآيتين نذكرهما، قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.

وفي سورة الحديد المباركة ينبهنا جل شأنه أنه معنا في كل حالاتنا من قبل أنْ نكون شيئاً، وفي الأصلاب والأرحام، وحين تلجنا الروح، وفي كل أحوالنا في الدنيا ثم في الآخرة في كل منازلها نعم أنه يقول – وهو أصدق القائلين: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ وكيف لا يكون معنا ونحن لا نكون إلا به، وكيف لا يكون مطّلع وشاهد ورقيب ووجودنا لا يقوم إلا به. إنّ استشعار هذا المعنى يعطينا معانٍ كثيرة، منها الاعتماد عليه، وألا نخاف من شيء مادام هو معنا، والتأدب بأدب العبودية، لأننا بحضرته دوماً.

الشيخ قاسم الخفاجي

هل يرى أعمالنا غير الله جل شأنه؟

سؤال يجاب عليه بالإيجاب، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1]، يقول السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسير هذه الآية: وعلى هذا فمعنى الآية : وقل يا محمد اعملوا ما شئتم من عمل خيرًا أو شرًا فسيشاهد الله سبحانه حقيقة عملكم ويشاهدها رسوله والمؤمنون - وهم شهداء الأعمال - ثم تردون إلى الله عالم الغيب والشهادة يوم القيامة فيريكم حقيقة عملكم.

وبعبارة أخرى: ما عملتم من عمل خير أو شر فإنّ حقيقته مرئية مشهودة لله عالم الغيب والشهادة، ثم لرسوله والمؤمنين في الدنيا، ثم لكم أنفسكم معاشر العاملين يوم القيامة. فالآية مسوقة لندب الناس إلى مراقبة أعمالهم بتذكيرهم أنّ لأعمالهم من خير أو شر حقائق غير مستورة بستر، وأنّ لها رقباء شهداء سيطلعون عليها، ويرون حقائقها، وهم رسول الله، وشهداء الأعمال من المؤمنين، والله من ورائهم محيط، فهو تعالى يراها وهم يرونها، ثم إنّ الله سبحانه سيكشف عنها الغطاء يوم القيامة للعاملين أنفسهم كما قال: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[2] ففرق عظيم بين أنْ يأتي الإنسان بعمل في الخلوة لا يطلع عليه أحد، وبين أنْ يعمل ذلك العمل بعينه بين ملأ من الناظرين جلوه وهو يرى أنه كذلك[3].

وتؤكد الأحاديث الشريفة هذا المعنى، قال الإمام الصادق عليه السلام: تعرض الأعمال على رسول الله صلى الله عليه وآله أعمال العباد كل صباح أبرارها وفجارها فاحذروها ، وهو قول الله تعالى: (اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله) وسكت[4].

وفي حديث آخر عن الإمام الباقر عليه السلام يحذرنا من الأعمال السيئة، يقول عليه السلام: إنّ أعمال العباد تعرض على نبيّكم فليستحي أحدكم أنْ يعرض على نبيّه العمل القبيح[5].

وليس الرائي النبي صلى الله عليه وآله فقط، بل الأئمة كذلك، قال عبد الله ابن أبان الزيات: قلت للرضا عليه السلام: ادع الله لي ولأهل بيتي فقال: أو لست أفعل؟ والله إنّ أعمالكم لتعرض عليّ في كل يوم وليلة، قال: فاستعظمت ذلك، فقال لي: أما تقرأ كتاب الله عز وجل: (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)؟ قال: هو والله عليّ ابن أبي طالب عليه السلام[6].

١- سورة التوبة، الآية ١٠٥.
٢- سورة ق، الآية ٢٢.
٣- الميزان في تفسير القرآن، ٩/ ٣٨٠- ٣٨١.
٤- الكافي، للشيخ الكليني ١/ ٢١٩.
٥- هداية الأمة إلى أحكام الأئمة، للشيخ الحر العاملي ٥/ ٥٦٨.
٦- المصدر السابق.

وشاهد آخر به نكتفي عن استعراض هذا المعنى، يقول الله سبحانه: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾[7].

يقول السيد الطباطبائي بعد كلام في تفسير هذه الآية: ومن هنا يظهر أنّ الشهادة في (شاهد) و(مشهود) بمعنى واحد وهو المعاينة بالحضور .. وعلى هذا يقبل (شاهد) الانطباق على النبي صلى الله عليه وآله لشهادته أعمال أمته ثم يشهد عليها يوم القيامة، ويقبل (مشهود) الانطباق على تعذيب الكفار لهؤلاء المؤمنين وما فعلوا بهم من الفتنة .. وأنّ الأنسب للسياق أخذها بمعنى المعاينة وإن استلزم الشهادة بمعنى الأداء يوم القيامة، وأن الشاهد يقبل الانطباق على النبي صلى الله عليه وآله. كيف لا؟ وقد سماه الله تعالى شاهداً إذ قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[8]، وسماه شهيدا إذ قال: ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾[9].

شهداء آخرون

ولا ينحصر الشهود بالله سبحانه وبالنبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام فقط بل هناك شهود آخرون على أعمال الإنسان يخرجون عن طاعته إلى طاعة ربه وهم السمع والبصر واللسان واليد والرجل قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[10] وقال: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[11]، ويقول أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب أرسله إلى أهل مصر ومحمد بن أبي بكر: (وينفخ في الصور فيفزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، فكيف من عصى بالسمع والبصر واللسان واليد والرجل والفرج والبطن إنْ لم يغفر الله له ويرحمه من ذلك اليوم)[12] هذا في العاصين، أما الذين يعلمون أنّ الله جل جلاله مُطّلع عليهم والنبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام وشهود آخرون فيستحيون، فلا يعملون معصية، فالشهادة لهم ويكونون في ركب جليل، قال رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾[13] يا عليّ إنّ الوفد لا يكونون إلا ركبانا، أولئك رجال اتقوا الله فأحبهم الله واختصهم ورضي أعمالهم، فسماهم المتقين)[14].

٧- سورة البروج الآية ٣.
٨- سورة الأحزاب، الآية ٤٥.
٩- ينظر: الميزان في تفسير القرآن، ٢/ ٢٤٩- ٢٥٠.
١٠- سورة فصلت الآيتان ٢٠-٢١.
١١- سورة النور الآية ٢٤.
١٢- الأمالي، للشيخ المفيد ص٢٦٦.
١٣- سورة مريم، الآية ٨٥.
١٤- الكافي ، للشيخ الكليني ٨/ ٩٥.

فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ

البيت معروف، والجمع بيوت وأبيات[1]، والخيمة هي بيت من بيوت الأعراب[2]، والغرفة: بيت فوق بيت[3]. الآية الكريمة من سورة النور، تتحدث عن البيوت التي يجب أن تُرفع، وبرصدنا جوّ الآية الكريمة إلى أنّ هناك بيوتاً يجب أن تهان، وأنّ هناك من البيوت لا تكون من التي ترفع ولا من التي تهان. ثم إنّ البيت قد يضاف إلى اسم أو صفة أو من يسكن ويستقر فيه من الأشياء، يميزه عن غيره من البيوت، كما يقال: بيت الله الحرام، وبيت العلم، وبيت الفضل، وبيت الزوج، وبيت المال، وبيت العنكبوت وبيت الحمام، والمعدة بيت الداء، إلى غير ذلك من الألفاظ.

نزلت الآية الكريمة في مسجد النبي ﷺ في المدينة المنورة، وفي وقت نزولها وقراءتها من قبل رسول الله ﷺ، قام إليه رجل فقال: أي بيوت هذه يا رسول الله؟ قال بيوت الأنبياء. فقام إليه أبو بكر، فقال: يا رسول الله هذا البيت منها - لبيت علي وفاطمة- ؟ قال نعم، من أفاضلها[4].

الرؤية الأولى

يستفاد مما ذكره المفسرون من تفسير الآية الكريمة، في الأخبار الواردة عن النبي الأعظم ﷺ، والأئمة الأطهار عليهم السلام، أنّ البيوت التي يجب أن تُرفع هي:

١- المساجد[5]، عن النبي ﷺ: (المساجد بيوت الله في الأرض وهي تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض)[6].

٢- بيوت الأنبياء عليهم السلام، في بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ: قال رسول الله ﷺ: هي بيوت الأنبياء[7]. ومنها بيوت النبي ﷺ، عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: (في بيوت أذن الله أن ترفع)، قال: هي بيوت النبي ﷺ[8].

٣- بيوت الأوصياء عليهم السلام. عن أبي جعفر عليه السلام، في قوله (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) قال: هي بيوت الأنبياء، وبيت علي عليه السلام[9]. بضميمة آية التطهير، وعنه عليه السلام: إنّ قتادة قال له: والله لقد جلست بين يدي فقهاء وقدّامهم فما اضطرب قلبي قُدّام واحد منهم ما اضطرب قُدّامك، فقال له: أتدري أين أنت..؟ بين يدي بيوت أذن الله أن ترفع.. إلى آخر الآية، فأنت ثمة ونحن أولئك، فقال له قتادة: صدقت والله جعلني الله فداك، والله ما هي بيوت حجارة ولا طين، يسبح له فيها بالغدو والآصال، وعن الباقر عليه السلام، هي بيوتات الأنبياء والرسل والحكماء وأئمة الهدى عليهم السلام[10].

١- الصحاح، الجوهري، ج١ص٢٤٤.

٢- العين، الفراهيدي، ج٤ص٣١٦.

٣- المصدر نفسه، ج٤ص٤٠٦.

٤- النبي والتعريف، الشيخ نجم الدين الطبسي، ص٣٥٨.

٥- يبطر المصادر الأخرى وغيرها كثير: المبسوط، السرخسي، ج١ص٢٠٦، و ج٨ص١٦٩، و بدائع الصنائع، لأبي بكر الكاشاني، ج١ص١١٦، و الجوهر النقي، المارديني، ج٨ص٢٧.

٦- بحار الأنوار، المجلسي، ج٢٣ص٣٢٦.

٧- تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم الكوفي، ص٢٨٧.

٨- الكافي، الشيخ الكليني، ج٨ص٣٣١.

٩- تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، ج٢ص١٠٤.

١٠- التفسير الصافي، الفيض الكاشاني، ج٣ص٣٤٧.

والحقيقة بعد استعراض الآراء تكونت لدي الرؤيا الأولى وهي: إن البيوت التي أذن الله أن تُرفع هي مطلق بيوت المعصومين عليهم السلام، ومطلق المساجد - إلا المساجد التي أسست على غير التقوى كمسجد ضرار الذي بناه المنافقون للترصد بالمسلمين ومحاربتهم- وذلك لعدم انقطاع ذكر الله تعالى فيهما، هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى أنهما يُذكّران بالله تعالى بالنظر أو الفكر.

إنّ هذه البيوت في المجتمع هي بيوت هدى وفكر وإرشاد وتوجيه نحو مصوّبات الأمور الدنيوية، والتي تكون سبباً لعمارة الآخرة.

الرؤية الثانية

إنّ هناك بيوتاً يجب أن توضع وتُهان، لأنها موطن الشيطان وجنوده من الإنس والجنّ، وهي بعيدة كلّ البعد عن ذكر الله تعالى، وإليها تنسب الرذيلة، والفحشاء والفجور، ومن هذه البيوت:

١- بيوت أعداء الأنبياء والأوصياء، كما إن بيوت الأنبياء بيوت هداية، فإن هذه البيوت بيوت ضلالة ودجل ونفاق، ففيها تؤسس برامج الحقد والعداء للأنبياء والأوصياء والأولياء، فيها تُبتدع مناهج عرقلة المشاريع الإلهية والحيلولة دون إرسائها بين الناس..

٢- بيوت الدعارة والبغاء، فلا نجد فيها إلا الفجور والفحشاء، وكذلك بيوت الخمر، وهي البيوت التي يرتادها شاربو الخمر، وفيها قد يلهى العبد أنه مسلم، ويفتخر بأنه يساوي المشرك في احتسائه الخمر؛ وهذا حال بيوت الملاهي والطرب والغناء، فإنها كسابقتها ليس فيها إلا اللغو والمآثم، والفحشاء والفجور، وأصحابها في لهو مستمر، معرضون عن ذكر الله العلي العظيم.

٣- بيوت ليس فيه ما ذكر أعلاه من فواحش وآثام، وإنما هي بيوت خالية بالية خاوية، بيوت غابت عنها القيم والأخلاق والإنسانية، بيوت واهية كبيت العنكبوت، أصحابها لا يقيمون الصلاة، ولا يعرفون الصيام، ولا يؤتون الزكاة، ولم يأدوا فريضة، ولا يعرفون حقاً، ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[11]؛ جُلّ همّهم جمع المال والعيش برغد، ويدعون الإسلام ولم يقرؤا آية من القرآن الكريم. قال أمير المؤمنين عليه السلام في حديث: (.. وإن البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن ولا يذكر الله عز وجل فيه تقل بركته وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين)[12]. بل هم الشياطين، كبيرهم لاهٍ، وصغيرهم ساهٍ، رجلهم طروب وامرأتهم لعوب.

الرؤية الثالثة

الإذن برفع البيوت يُفهم منه الوجوب لا الجواز، وحصراً في بيت المعصوم عليه السلام.

أما الرفع فيمكن أن يكون على وجهين:

الأول: أن تبنى، وترفع بالبناء، ونظافته، وفرشه، وإسراجه، وبعضد هذا الرأي، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾[13].

وأجر بناء المساجد عظيم، كما هو واضح في قول الإمام الصادق عليه السلام: (من بنى مسجداً بنى الله له بيتا في الجنّة)[14]، وكذلك الإسهام في ديمومة عمارتها، قال النبي صلى الله عليه وآله: (من أسرج في مسجد من مساجد الله سراجاً، لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوء من السّراج)[15].

الثاني: المراد بالرفع تعظيمها، ورفع قدرها ومنازلها، لأنها تنبئ إلى الله تعالى، وبأني التعظيم بكثرة التردّد إليها، والاشتغال بالعبادة، لأنها مواضع الصلوات، ومواطن العبادة والذكر، ويعضد هذا الرأي، قوله تعالى: ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾[16]. وعلى هذا التفسير يترك المؤمن الأعمال الدنيوية، ويكثر فيها ذكر الله تعالى، ومعرفة أمور عقيدته وأحكام دينه، والاشتغال بقراءة القرآن والأدعية، تاركاً القيل والقال، والتعرض للآخرين، وأن لا يجعل المسجد أو بيوت النبي صلى الله عليه وآله، كبيوت الآخرين، فبيته وبيوت أوصيائه عليهم السلام، بيت مهبط الأملاك والوحي، بنور المصطفى والبضعة وعلي، يزهر في السماء بيت النبي، وأنوار الفرقدين والسجاد علي، والباقرين والكاظم والرضا، والجواد والهادي وسُبل علي، والقائم بالحق والعدل مضي، طاهر بعد طاهر ونقي، وصالح بردف صالحاً ونقي، وولي بعد ولي وصفي، هم الخلفاء أولاد علي، عدل القرآن آل طه النبي.

١١- سورة الفرقان، الآية ٤٤.

١٢- الكافي، ج٢ ص٦١٠.

١٣- سورة البقرة: الآية ١٢٧.

١٤- منتهى المطلب، العلامة الحلي، ج٦ ص٣١٩.

١٥- المقنع، الشيخ الصدوق، ص٨٩.

١٦- سورة النور: الآية ٣٦.

الإمام الكاظم (عليه السلام)
وآثاره في تفسير القرآن الكريم
-١١-

تحدثنا في الحلقة السابقة عن بيان ما يتعلق بالآية المباركة حول رؤية الله تعالى، والأقوال الواردة في ذلك في روايات الإمام الكاظم عليه السلام التفسيرية[1]، وفي هذه الصفحات القرآنية نسلط الضوء على آية مباركة لها علاقة بمقام أهل البيت وفضلهم في القرآن الكريم، والروايات الواردة في ذلك

الآية الثالثة عشرة / قال تعالى: ﴿وعلاماتٍ وبالنجم هم يهتدون﴾[2].

١- تفسير الآية المباركة ضمن السياق العام.

٢- الأحاديث الواردة في تفسير الآية المباركة.

أولاً: إنَّ المفسرين قد ذكروا ما يتعلق بالآية ومناقشتها من وجوه متعددة، فمنها ما يتعلق بظاهرها، ومنها ما يتعلق بباطنها وعلاقتها بحجج الله على عباده، فمن مفسري الشيعة ما ذكر أحد الموضوعين، ومنهم مَنْ ذكر الموضوعين مَعًا في تفسيره، وثالث ذكر الروايات التفسيرية، وأما مفسرو العامة فلم يذكروا إلا الوجه الثاني.

١- قال الشيخ القمي (ق٣) في تفسيره للآية المباركة عن الإمام الصادق عليه السلام: ((«النَّجْمُ» رَسُوْلُ اللهِ صلى الله عليه وآله، وَالْعَلامَاتُ الْأَئِمَّةُ عليهم السلام))[5].

إنَّ الشيخ القمي وبناء على منهجه في تفسيره

* عن محمد بن الفضيل[3] عن أبي الحسن عليه السلام يقول: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ قال: نَحْنُ الْعَلَامَاتُ، وَالنَّجْمُ رَسُوْلُ اللهِ صلى الله عليه وآله))[4].

إنَّ الرواية التفسيرية الشريفة تبيّنُ مسألة مهمة لها علاقة بمقام أهل البيت وفضلهم عليهم السلام من خلال كتاب الله تعالى، وما في ذلك من آثار ينبغي التمسك بها، ولأجل أنْ نكون على بينة من مدلول هذه الرواية الشريفة للإمام الكاظم عليه السلام، نبحث عن ذلك في موضوعين:

١- كان الحديث في بيان قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾. سورة النجم: الآية ١١.

٢- سورة النحل: الآية ١٦.

٣- أبو جعفر الأزرق محمد بن الفضيل الكوفي الأزدي، الصيرفي، عربي، كوفي، أدرك الإمام الصادق والكاظم والرضا عليهم السلام، روى عنهم في موارد متعددة، له كتاب ومسائل. السيد الخوئي، أبو القاسم علي أكبر: معجم رجال الحديث ١٨/١٥١.

٤- العياشي، محمد بن مسعود: تفسير العياشي ٢/٢٥٦.

٥- علي بن إبراهيم: تفسير القمي ١/٣٨٥.

القائم على التفسير بالمأثور من الروايات، قد فَسَّر الآية بهذه الرواية وفي ذلك يؤكد منهج الرجوع إلى الأئمة عليهم السلام في فهم النص القرآني، كونهم عدل القرآن الكريم كما نص عليه في حديث الثقلين.

وقد ورد مثل هذا التفسير في التفاسير الأخرى التي قام منهجها على تفسير الآيات بالمأثور عن الأئمة عليهم السلام، وهذا ما ذهب إليه غيره من المفسرين، من ذكر روايات متعددة تؤكد ما يتعلق بالأئمة عليهم السلام في هذه الآية المباركة، وما ورد في تفسيرها[٦].

٢- قال الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٨م): ((وقوله: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ أي جعلَ لكم علاماتٍ. وقيل: إنَّها الجبالُ ونحوها. قال آبن عباس: يعني الجبال يُهتدى بها نهارًا، والنجمُ يُهتدى به ليلاً. وهو آختيار الطبري.

و(العلامة) صورةٌ يُعلم بها المعنى، من خطٍّ، أو لفظٍ، أو إشارةٍ، أو هيئةٍ، وقد تكونُ وضعيةً، وقد تكونُ برهانيةً. ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ فالنجمُ هُوَ الكوكبُ))[٧].

إنَّ هذا التفسير الذي ذكره الشيخ (قدس سره) هو بيان لما يحتمله السياق القرآني من معنىً عام، فضلاً عن تفسيره بالمأثور من روايات وردت في تفاسير العامة، ولم يذكر ما يتعلق بباطن الآية الشريفة التي وردت الرواية في تفسيرها عن الإمام الكاظم عليه السلام، وقد فصَّل القول في بيان معنى (النجم)، والمعاني التي وردت فيه في القرآن الكريم، من خلال الآيات التي ورد ذكره فيها.

٣- قال الشيخ الطبرسي (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م): ((وجعلَ لكُمْ علاماتٍ أي معالِمَ تُعْلَمُ بها الطرقُ، وقيل: العلاماتُ الجبالُ يهتدى بها نهارًا. وبالنجمِ هم يهتدون ليلاً عن آبن عباس. والمرادُ بالنجمِ الجنسُ، أي جميعُ النجومِ الثابتةِ .... وقال أبو عبد الله عليه السلام نحنُ العلاماتُ، والنجمُ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله، وقالَ: إنَّ اللهَ جعلَ النجومَ أمانًا لأهلِ السماءِ، وجعلَ أهلَ بيتي أمانًا لأهلِ الأرضِ))[٨].

إنَّ تفسير الشيخ الطبرسي (قدس سره) للآية المباركة قد جمع بين تفسير الطوسي والتفاسير الروائية، فقد ذكر ما تقدم مما ورد عن الطوسي، وذكر الرواية الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام في علاقة الآية المباركة بالنبي والأئمة، وأضاف إليها توضيح ذلك وعلاقته بحديث الأمان المشهور، ويمكن القول: إنَّهُ أراد عرض المنهجين للقارىء في تفسيره، من دون ترجيح أحدهما على الآخر، أو إمكانية القول بهما معًا.

٦- ينظر: الحويزي، عبد علي: تفسير نور الثقلين ٣/٤٥-٤٦.

٧- محمد بن الحسن: التبيان في تفسير القرآن ٦/٣٦٨.

٨- مجمع البيان في تفسير القرآن ٥/٥٤٥.

وفيما يتعلق بالآية الشريفة وكونها من التفسير غير الظاهر قال السيد الطباطبائي بعد ذكره للروايات الشريفة الواردة في تفسير الآية: ((وليسَ بتفسيرٍ، وإنَّما هو من البطنِ، ومِنَ الدليلِ عليهِ ما رواهُ الطبرسيُّ في المجمعِ، قال ... [وذكر كلام الطبرسي المتقدم]))[٩].

٤- قال الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م): ((والمرادُ بالعلاماتِ معالمُ الطرقِ، وهي الأشياءُ التي بها يهتدي، وهذهِ العلاماتُ هي الجبالُ والرياحُ .... والمرادُ بالنجمِ عن السُّدي هو الثريا، والفرقدانِ، وبناتُ نعشٍ، والجدي))[١٠].

إنَّ الفخر الرازي كما ذكرنا من علماء العامة الذين لم يتطرَّقوا إلى مثل هذه الروايات التفسيرية الواردة بحق أهل البيت عليهم السلام، فقد فصَّل القول فيما يتعلق بهذه العلامات، والنجم والمراد منهما، كما هو عليه السياق ظاهرًا.

ثانيًا: إنَّ الروايات الواردة في تفسير الآية المباركة من طرق أهل البيت عليهم السلام متعددة، وقد وردت في مصادر مختلفة، وبنصوص قد تتفاوت أحيانًا، ولكنها في المضمون نفسه، وقد وردت كلها عن الأئمة الصادق والكاظم والرضا عليهم السلام[١١]، وبعضها خصت العلامات بأمير المؤمنين عليه السلام نصًّا عليه، وأخرى بالأئمة إجمالاً، ويمكن بيانها كما يأتي:

١- المراد بالعلامات الإمام علي عليه السلام في حديث واحد، قولهم: ((«النجم» رسول الله صلى الله عليه وآله، والعلامات أمير المؤمنين))[١٢].

٢- المراد بالعلامات الأوصياء عليهم السلام في أحاديث ثلاثة، قولهم: ((«النجم» رسول الله صلى الله عليه وآله، والعلامات الأوصياء))[١٣].

٣- المراد بالعلامات الأئمة عليهم السلام في أحاديث سبعة، قولهم: ((«النجم» رسول الله صلى الله عليه وآله، والعلامات الأئمة)) وفي نص: ((ونحن العلامات))[١٤].

إنَّ هذا العدد من الروايات التفسيرية الشريفة يؤكد مقام الأئمة وفضلهم، وأنَّهم ممن جعلهم الله تعالى سبيل الهداية للناس، وهذا ما يشير إليه عدد غير قليل من الروايات الأخرى الواردة في بيان مقامهم، كرواية الثقلين، ورواية سفينة نوح، ورواية باب حطة وغيرها، والتي تجعل الباحث عند الجمع بين ألفاظها ومضمونها يصل إلى نتيجة واقعية تؤكد مقامهم من دون سواهم من الناس، فضلاً عن الآيات والروايات الخاصة الأخرى.

وذهب الشيخ محمد صالح المازندراني (ت١٠٨٦هـ/١٦٧٥م) في شرحه لهذه الرواية التفسيرية إلى أنَّ هذا التفسير للآية يمكن أنْ يكون حقيقة، وليس مجازًا، فقال: ((إطلاقُ النجمِ على رسولِ اللهِ، وإطلاقُ العلاماتِ على الأئمةِ يقربُ أنْ يكونَ من بابِ الحقيقةِ؛ لأنَّ النجمَ في الأصلِ الظاهرُ والطالعُ والأصلُ، والنجومُ: الظهورُ والطلوعُ وهو صلى الله عليه وآله ظاهِرٌ من مطلعِ الحقِّ، وطالعٌ من أُفُقِ الرحمةِ، وأصلٌ لوجودِ الكائناتِ، أخرجَهُ اللهُ تعالى من نورهِ، وأظهرَهُ من معدنِ علمهِ وحكمتهِ، وجعلَهُ نورانيَّ الذاتِ والصفاتِ؛ لرفعِ ظلمةِ الجهالةِ في بيداءِ الطبائعِ البشريةِ، وفيفاءِ اللواحقِ الناسوتيةِ، والعلامةُ ما يعرفُ به الشيءُ، ومنهُ علامةُ الطريقِ التي وضعَها صاحبُ الدولةِ، والشفقةُ على خلقِ اللهِ تعالى لئلا يضلَّ المسافرونَ، والأئمةُ عليهم السلام علاماتٌ للطرقِ الإلهيةِ، والقوانينِ الشرعيةِ، والنواميسِ الربانيةِ، وضعَهُمُ النبيُّ صلى الله عليه وآله بأمرِ اللهِ تعالى؛ لئلا يضلَّ الناسُ بعدَهُ بالاهتداءِ بأطوارِهم، والاقتداءِ بآثارِهم، فالناسُ بأعلامِهم يرشدونَ، وبهدايتِهم يهتدونَ))[١٥].

إنَّ ما تقدم من كلامه (قدس سره) في بيان مقام النبي والأئمة عليهم السلام في الأمة مما لا يُنكر، ولا يمكن القول بغيره، فهم أعلام الدين، والصراط المستقيم، وحجج الله على العالمين، ولكن آنطباق الرواية آنطباقًا كليًّا على ظاهر الآية المباركة لا يمكن آعتماده آبتداءً، من خلال السياق القرآني لها، فالآية في سياق بيان النعم الإلهية التي أنعم الله بها على عباده ظاهراً، من حيث تسخير البحر وما فيه، والبر وما فيه من جبال وأنهار، والجو في السماء وما فيه من علامات لهدايتهم في الليل والنهار، وهذا لا يعني نفي الرواية التفسيرية عن الإمام الكاظم عليه السلام، ولكن كما ورد في توجيه هذه الروايات في قول السيد الطباطبائي المتقدم.

فالرواية الشريفة تؤكد منهج الثقلين في تفسير القرآن الكريم، من خلال الرجوع إلى مصادر تفسيره الأساسية، وهما القرآن والعترة؛ لمعرفة حقيقة كلام الله تعالى.

٩- محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن ١٢/٢٢٥.

١٠- التفسير الكبير ٢٠/١٩١-١٩٢.

١١- ينظر: البحراني، هاشم: البرهان في تفسير القرآن ٤/٤٣٢-٤٣٤.

١٢- تفسير العياشي ٢/٢٧٦ الحديث ٧.

١٣- تفسير القمي ٢/٣٢١، تفسير العياشي ٢/٢٧٧ الحديث٨، ٩.

١٤- الكافي ١/١٦١ الحديث ٣، ٢، ١ ، تفسير القمي ١/٣٨٥.

١٥- شرح الكافي ٥/٣٠٨-٣١٠.

الدليل القرآني والعقلي
في الرد على مبنى الاكتفاء بالقرآن

ينبغي تنبيه النفس وتذكير الآخرين عند الادعاء والتنظير في مجال الإسلام أو المجالات الأخرى. إنَّ على المُنظِّر الإتيان بدلائل عقلية ونقلية (من القرآن والحديث)، لا أن يقول ما يحلو له ثم يقول لمن لا يقبل بكلامه: ائتني بدلائل ترد عليّ! فأي عقل ومنطق ومحكمة لا تقبل بحديث المُدَّعي إذا لم يأتِ بدلائل وشواهد. لذا سنسأل سؤالًا وهو: أي آية دلَّت على أخذ القرآن من الرسول ﷺ وترك الرسول ﷺ نفسه، ثم القول إنَّ الكتاب كافٍ لنا ونحن نفهم أكثر؟

الدلائل العقلية

ابتداءً ينبغي التأكيد أنَّ الدلائل النقلية من القرآن والحديث هي عين الدلائل العقلية ولا يجب الفصل بينهما، فإنما وجِدَ وحكمة العقل والعقل هو نفسه الذي يدلل بالتوحيد والنبوة والرسالة والمعاد يجب السؤال من المتمسكين بكفاية القرآن: أنتم الذين تدَّعون أنَّ القرآن كافٍ، أتمنعون المسلمين من الرجوع إلى الرسول الأكرم ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، أم لقولكم هذه عمومية تمنعون بها حتى من رجوع المسلمين إليكم؟

فإن كان الأمر هكذا فستحدث حالة من الفوضوية النظرية والفكرية والاعتقادية، ومن ثم لن يكون هناك مذهب ولا عقيدة وكلٌّ يعمل وفق هواه وما ترتضيه نفسه ومن ثم ينسب قوله إلى القرآن.

وإذا قالوا: كلا، بل علينا الرجوع إليهما فسنسألهم: ألم تدَّعوا أنَّ القرآن كافٍ؟ فإن لم يكن كافيًا، فلماذا يترتب علينا نحن ترك من أتى بالكتاب ومن هم عاملون به، والرجوع إليكم؟!

فأي عقل يقبل بكتاب وترك معلمه؟ وأي علم مكتوب في كتاب قابل للتعلم دون معلم؟ فهل يتعلم القبول الحروف الأبجدية بمجرد النظر إلى الكتب المطبوعة؟ فإن كان الأمر هكذا من جهة لم يكن هناك داعٍ لتأسيس كل هذه المدارس والجامعات، ومن جهة أخرى لرأينا أنَّ كل من يقرأ القرآن عدَّ عالمًا عادلًا عاملًا متقنًا ومؤمنًا.

يقول الله (عزَّ وجلَّ) في كتابه الكريم بأنه أرسل الرسل لتعليم الناس وتعليم الكتاب والحكمة بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[1].

ينبغي التنبيه أنَّ أساس التصديق والإيمان بالنبي ﷺ أولًا بالكتاب، لأن الكتاب أنزل إليه وأرسل به، هل أنزل الكتاب عليهم ليدعوا الكفاية به؟ في كل الأحوال إن ادعوا أنَّ الكتاب كافٍ، فلماذا نرى كل هذه المذاهب والفرق باختلافاتهم في الأصول والفروع؟ ألم يستسيغوا كلهم على الكتاب؟ وأخيرًا إن كان القرآن كافيًا فلم نر بعد ١٤٠٠ عام ظهور مذهب جديد يدعي الكفاية بالقرآن؟

١- سورة آل عمران، الآية ١٦٤.

بقلم: جمال أحمدي أصل

الدلائل القرآنية

إن كانوا يعتقدون أنّ القرآن كاف لتعليم الإدراك والفهم أنّ الله (عزّ وجلّ) لم يدع طريقًا لفهم الأحكام الإلهية إلا عن طريق أهل العصمة عليهم السلام.

أ- لم يرسل القرآن وحده. لم يقل الله تعالى أنّ القرآن أنزل وحده، ليكون كافيًا لإيمانكم، بل أدلته على ثلاثة أركان بمثل الآية: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ...﴾[1].

• لاحظوا الآية أنّ الله تعالى أرسل رسوله بدلائل (عقلية ومعاجز وبينات واضحة) مع الكتاب لا المكتوب.

• يدعي بعضهم أنّ الميزان الذي نزل على الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله هو الكتاب نفسه، زعم عليهم أنّ مفردة الكتاب ذكرت مرة واحدة، وليس لضرورة (أرسلنا الكتاب) أي معنى، فالميزان ليس هو الكتاب نفسه.

• لهذا السبب قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله حين قرب أجله: من (علة الأركان الثلاثة المرسلة) فإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي.

ب- لم يكن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ساعي بريد فقط، بل أرسل للبلاغ، فمن ادعى الكفاية بالقرآن فقد أنكر التوحيد في القسم، وإنكار الحكمة الإلهية والساحة المقدسة، كأنه يعترف أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ساعي بريد فقط (والعياذ بالله) وما عليه إلا أخذ الأمانة منه والعمل به، لذلك صرّح الله تعالى في مواضع عديدة بأن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله هو القدوة الحسنة ولم يرسله إلا ليطاع.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[2]. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[3].

ج- تنجلي إطاعة الله تعالى والعمل بكتابه وإطاعة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله. الحبوبة لله تعالى ليس شعارًا ولا شعارًا، ولا وهمًا ولا خيالًا كي يهتدي بهداه كل فرد وفق هواه، بل إنّ إطاعة الله تعالى من إطاعة أهل العصمة عليهم السلام، وإن تكرار الأمر هنا بالإطاعة على أهميته: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾[4]. ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا - ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾[5].

هل يعتقدون أنّ الله تعالى أرسل قبل ١٤٠٠ عام رسولًا يهدي مجموعة من العرب وحرم البغضة منه، ليهتدوا على يد مجموعة من الجهلة الحسدين؟ أو أنّ بيانه وعمله، سنته وسيرته، علمه وتعليمه للجميع واحد؟

ماذا نعمل لو اختلفنا (وقد اختلفنا) في فهم القرآن؟

الاختلاف الحاصل هو نفسه دال على أنّ الكتاب وحده لا يكفي، ولكن السؤال ماذا نعمل لو اختلفنا في فهمه؟ أنرجع الأمر إليهم أم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؟ لنقرأ الآية أدناه لنرى كيف إنّ الله تعالى يردّ هذا الاختلاف بالعقل أيضًا ويحدد هذا الأمر.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[6].

النتيجة: إنّ الذين يدّعون أنّ القرآن وحده يكفي ليداية العالم ما عليهم إلا قراءة هذه الآيات بدقة، وحق إذا تدبروا هذه الآيات نفسيًا لعلموا ضرورة أن يرجعوا إلى النبي صلى الله عليه وآله، إلا إذا كانوا يعتقدون النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والقرآن نفسه وهذا بحث آخر.

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾[7].

١- سورة الحديد، الآية: ٢٥.
٢- سورة الأحزاب، الآية: ٢١.
٣- سورة النساء، الآية: ٦٤.
٤- سورة آل عمران، الآية: ٣٢.
٥- سورة النساء، الآية: ٦٩ و٧٠.
٦- سورة النساء، الآية: ٥٩.
٧- سورة الأحزاب، الآية: ٦.

محفلٌ قرآنيٌّ تيمناً بولادةِ

الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله

تيمّناً بذكرى ولادة الصادق الأمين محمّد ﷺ وحفيده سادس أئمة الهدى الإمام جعفر الصادق عليه السلام، أقامت الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة/ قسم الشؤون الفكرية والإعلام/ دار القرآن الكريم ضمن برنامجها المُعدّ لهذه المناسبات العطرة محفلاً قرآنياً في رحاب الصحن الكاظمي الشريف بحضور نخبة من أساتذة القرآن الكريم وقرّائه، وجمع من زائري الإمامين الجوادين عليهما السلام، وتُليت خلاله باقة من التلاوات القرآنية عطّرت بها أصوات القرّاء الشجيّة أجواء الطهر والقداسة، حيث شارك فيها كلّ من القارئ مالك الدلفي، وعلي فلاح السوداني، والطفلة الحافظة فاطمة بختياري، والطفل أمير حسين من الجمهورية الإسلامية الإيرانية، كما تخلل المحفل مشاركة فرقة إنشاد الجوادين، وتوزيع الشهادات التقديرية والهدايا على المشاركين.

وفد العتبة الكاظمية المقدسة يحضر

حفل اختتام المسابقة القرآنية لمسجد الكوفة المعظم

لبّى وفد العتبة الكاظمية المقدسة دعوة أمانة مسجد الكوفة المعظم والمزارات الملحقة به لحضور حفل اختتام المسابقة القرآنية الوطنية السابعة للحفظ والتلاوة، التي أقيمت يوم السبت ٩ / ١٢ / ٢٠١٧م في أحد أروقة المسجد ابتهاجاً بالذكرى الميمونة لولادة النبي الأكرم محمد ﷺ وحفيده الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، وحضر الحفل رئيس ديوان الوقف الشيعي سماحة السيد علاء الموسوي وعدد من الشخصيات الدينية والعلمية والرسمية.

واستهلّ الحفل بتلاوة آي من الذكر الحكيم بصوت الفائز الأول في المسابقة وقراءة سورة الفاتحة ترحماً على أرواح شهدائنا الأبرار، بعدها ألقى سماحة السيد الموسوي كلمة ديوان الوقف الشيعي بهذه المناسبة بارك فيها للفائزين الأوائل والمشاركين بهذه المسابقة، وثمّن جهودهم المباركة لحفظ القرآن الكريم، وتلاوته والعمل بمحكم آياته المباركة. كما ألقى السيد مهند مصطفى جمال الدين قصيدة شعرية خلال الحفل ترنمت بحبّ الرسول الأعظم ﷺ والإمام الصادق عليه السلام والولاء لنهجهما وخطهما الرسالي، واختتم الحفل المبارك بتكريم الفائزين الأوائل وتوزيع الشهادات التقديرية عليهم.

تأتي مشاركة وفد العتبة الكاظمية المقدسة في هذا النشاط القرآني المبارك دعماً للمسيرة المباركة التي تشهدها العتبات والمزارات المقدسة الهادفة إلى نشر الوعي القرآني، والحث على حفظ سور الكتاب العزيز والعمل بنهجه القويم.

وفد دار القرآن الكريم

يحضر فعاليات مسابقة النخبة السنوية

من رحاب الإمامين الكاظمين عليهما السلام إلى رحاب أمير المؤمنين عليه السلام حضر وفد دار القرآن الكريم في العتبة الكاظمية المقدسة فعاليات مسابقة النخبة السنوية العاشرة لحفظ القرآن الكريم وتلاوته التي أقامها المركز الوطني لعلوم القرآن التابع لديوان الوقف الشيعي وبرعاية الأمانة العامة للعتبة العلوية المقدسة تحت شعار (قُرّاءُنا .. حُفّاظنا.. نبراس عراقنا) لاختيار ممثلي العراق في المسابقات القرآنية الدولية، وبمشاركة عدد من حفّاظ وقرّاء القرآن الكريم في العتبات المقدسة والمزارات الشيعية الشريفة والمراكز القرآنية في عموم العراق بحضور معالي رئيس الديوان سماحة السيد علاء الموسوي ومدير المركز الوطني القارئ الدكتور رافع العامري، فضلا عن ممثلي العتبات المقدسة ومكاتب المراجع الكرام والمؤسسات والروابط القرآنية والرواد والمهتمّين بالشأن القرآني.

وشهدت فعاليات المسابقة إلقاء كلمات عدّة كان من بينها كلمة المركز الوطني لعلوم القرآن التي أشارت إلى الأهداف والمعاني السامية للمشاريع التي تعمل على الاهتمام بكتاب الله العزيز حفظاً وتلاوة. وما تضمنته المسابقة العاشرة لحفظ وتلاوة القرآن الكريم من مشاركات حيث جمعت نخبة من الحفّاظ والقرّاء من مختلف محافظات العراق، والبالغ عددهم (١٠٧) قرّاء و (٢٧) حافظاً شاركوا في المراحل الأولية،حيث ترشّح منهم (٢٦) قارئاً، و(٢٢) حافظاً تنافسوا عبر مرحلتين، وفاز بالمرتبة الأولى في مرتبة الحفظ، الحافظ علي عقيل من البصرة، والمرتبة الثانية الحافظ صفاء مهدي الأستاذ في دار القرآن الكريم في العتبة العلوية المقدسة، فيما حصد المرتبة الثالثة الحافظ وسام حميد من محافظة كربلاء. أما في مجال التلاوة فقد حصل على المرتبة الأولى القارئ حسن علاء من محافظة بابل، والمرتبة الثانية القارئ قيصر الدجيلي من محافظة صلاح الدين والمرتبة الثالثة كانت من نصيب القارئ سجاد فاضل من محافظة بغداد – الكرخ.

وأكد مدير دار القرآن الكريم في العتبة الكاظمية المقدسة الحاج جلال علي محمد لموقع العتبة المقدسة الإلكتروني قائلاً: إنَّ هذا التواصل مع الجهات القرآنية من شأنه أنْ يرفع من مستوى المشاركات المتبادلة وتلاقح الأفكار والرؤى للنهوض بخدمة كتاب الله العزيز.

من الجدير بالذكر أنَّ الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة تواصل دعمها ورعايتها للمسيرة القرآنية المباركة، وتنمية الوعي القرآني وتجذير تلك الثقافة لدى أبناء مجتمعنا الإسلامي.

هذا بيانٌ للناس

جلال علي محمد
دار القرآن الكريم/العتبة الكاظمية

يمكن عدّ الأنشطة القرآنية عاملًا مهمًا في التربية، كونها تعمل على الارتقاء بالمجتمع لما فيها من إلقاء كلمات نوارنية نزلت من الله تعالى على رسوله ﷺ ليبلّغ الناس بها، كالأحكام والشرائع والأوامر والنواهي على المستوى الأخلاقي والاجتماعي وغيرها، فالقرآن منظومة متكاملة لبعث الحياة في الدنيا والسعادة في الآخرة.. وعليه فإنَّ هذه الأنشطة تحتاج إلى أدوات لإنجاحها أولاً، ولترك أثر في الناس ثانيًا.. ومن هذه الأدوات: الجمهور.. فتلك الأنشطة تكون ذات طبيعة تفاعلية تعمل على إرسال رسالة إلينا نحن المتلقون الذين لا نخلو من بعض الذنوب واقتراف الأخطاء -فكلنا خطاؤون- وحضور المحافل واستماع القرآن والإنصات والتدبر سيكون بمثابة التغذية الراجعة في الميدان التعليمي والتي تهدف الى إخبار المتعلم بنتائج فعله وآلية تصحيح أخطائه، والتي تسهم في تعديل السلوك لدى المتعلم من خلال تقويم نتائجه، وللتغذية الراجعة دور بالغ في عملية التعلم الذاتي وتصحيح المسار، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ فهذه الانتقالة إلى صراط الله تحتاج إلى ذلك التفاعل بين الأنشطة القرآنية والجمهور، ولا يتم ذلك إلا بتوطين النفوس على حب القرآن وتعلمه وتلاوته، وكيف ننسى وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي يفرّع الإفادة من كتاب الله تعالى ويفصّلها قائلا: (وَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ، وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ، وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ، وَأَحْسِنُوا تِلاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَصِ)، فكتاب الله تعالى بصورة إجمالية -فضلا عن هدايته إلى المعارف الدينية- فهو هادٍ إلى المعارف الدنيوية كالجانب السلوكي والاجتماعي والاقتصادي والتعامل مع الآخرين وغيرها، ولأن تلك الجوانب مترابطة مع بعضها في بناء الإنسان فعندما يحصل خلل في أحدها سينسحب الإرباك إلى بقية الجوانب ما يؤدي إلى عرقلة التكامل الإيماني لدى المتلقي، فأي بيان هذا بين أيدينا قد نكون غافلين عنه؟!.. قال تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

الكلب اللاهث

الشيخ نجم عبد الرضا الدراجي

قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ *وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾

رُغم تكريم القرآن الكريم لنوع البشر، إلا أنَّ هناك استثناءً من هذه القاعدة الكلية، وهم أصحاب العقول الذين لا يُعملونها وأصحاب الأعين والآذان لكنهم لا يبصرون ولا يسمعون آيات الله ولا يهتدون بهديها ويتنورون بنورها ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾، ومن ذلك حَمل التوراة من قبل غير العامل بها ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾. وفي الآيتين توسيع الدائرة لتشمل كل الآيات الإلهية – ولا تخص التوراة وحدها – (الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا) والنازلة في أحد علماء بني إسرائيل واسمه بلعم بن باعوراء، وتقبل الانطباق على كل عالم لم يعمل بعلمه لذلك جاء الأمر الإلهي بتلاوة خبره الهامّ على كُلّ البشرية لاتخاذ العبرة ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ﴾ وقد وُصِفَ بالإيتاء الإلهي للآيات وهو علم الكتب السماوية والتعبير بـ(انْسَلَخَ مِنْهَا) يدل على إحاطته بالعلوم كإحاطة الجلد للجسم، فأصل الانسلاخ هو الخروج من الجلد، ونتيجة هذا الانسلاخ وبعد ذلك مباشرة يطمع الشيطان بذلك المنسلخ بعد اليأس من إضلاله فيوسوس حتى يوصله إلى الضلال والغواية ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾. وحصلت هذه النتيجة لسوء اختياره، بصرف علمه باتجاه لم يُؤمَر بصرفه فيه، وقد اقتضت الحكمة الإلهية بكون الإنسان مختاراً في فعاله، ولو شاء لألزمه بسلوك طريق معين، لكن ذلك ليس مراداً لله سبحانه ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ وهو الميل إلى الماديات وزخرف الدنيا والاهتمام بها، وعامل آخر أدّى إلى الانسلاخ وطمع الشيطان في تضليله بعد اليأس من ذلك هو اتّباع الهوى ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾، وهو الداء الذي لا يكاد يسلم منه أحد، وكلٌّ له درجة ومرتبة، والشيء المهم أن عالماً يوصف بإيتاء الآيات لا يخلوا منه فكيف بمن هو دونه، فمثله ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾، واللهث هو إخراج الكلب لسانه من العطش في كل أحواله سواء زُجر أم لم يُزجر، فطبعه اللهث والذي لا يتمكّن من التخلي منه، والعالم غير العامل بعلمه المرتبط بالماديات والتابع لهواه كذلك فهو ذو عطش دائم لا يمتلك شيئاً من حطام الدنيا إلا بدأ بالتخطيط للثاني، وعندما يصل إليه يفكّر بغيره إلى سلسلة لا تنتهي من الماديات، والملاحظ أنَّ القرآن الكريم مثّل للعالم غير العامل بالحمار مرة وبالكلب أخرى، وفي ذلك درس بليغ لمن يتصدّى لحمل العلوم الإلهية أنْ لا يغتر إذا وصل إلى مراتب كبيرة منه، فمن الممكن أن يحصل الانسلاخ من ذلك كله.

سورة الليل

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى - وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى - وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى - إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى - فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى - وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى - فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى - وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى - وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى - فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى - وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾

القسم الأول

تبدأ السورة المباركة بالقسم ببعض الآيات الآفاقية والأنفسية، وليس من حق أحد أن يحلف بغير الله ولا يترتب أي أثر شرعي على ذلك، ولله تعالى أنْ يحلف بما يشاء من مخلوقاته، لبيان عظمة المحلوف به أولاً وأهمية المحلوف عليه ثانياً، وبدأ القسم بالليل وغشيانه ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ والتغشية هي التغطية، فكأن الليل يغطي النهار بظلامه، والنهار أيضًا يغطي الليل بنوره، ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾، والذي أسمته السورة المباركة بالتجلّي وهو الظهور، والذي يبدأ بالفجر الصادق فيخرق الظلام قليلاً ثم يمتدُّ النور، ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾، والقسم بهاتين الظاهرتين الكونيتين المتكررتين لإلفات النظر إلى أهمّيتهما ودورهما في الحياة ، فالعمل الدؤوب في أحدهما والاستراحة والسكن في الأخرى، وهي من آيات الله سبحانه من جهة، ومن نعم الله من جهة أخرى، وينتقل القسم الإلهي من الآيات الآفاقية إلى الآيات الأنفسية ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ وقد يراد به خلق الصنفين أو خالقهما، والزوجية بين البشر وغيرهم يدور عليه إدامة الوجود واتصاله وبقاء النوع، والملاحظ أنّ المقسوم به مختلف فالليل يختلف عن النهار، والذّكر يختلف عن الأنثى والعكس صحيح أيضاً ليتطابق مع المقسوم عليه ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾، فإنّ سعي البشر - كُلٌّ إلى مَقصده - مختلف كما فصّلته الآيات التالية، فقد قَسّمت السعيَ البشري إلى خطين:

الأول: خَطُّ الإنفاق في سبيل الله مع التقوى والتصديق بالبعث للحساب.

الثاني: خطُّ عدم الإنفاق لطلب الغنى في الدنيا مع التكذيب بالبعث للحساب.

ونتيجة الخطّين مختلف لاختلاف السعي فكل منهما ينال التيسُّر الإلهي، لكن أصحاب الخطِّ الأول يُسيَّر لليسرى وأهل الخطِّ الثاني يُسيَّر للعسرى.

فأهل المجموعة الأولى تنفق إنفاقاً مصاحباً للتقوى ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ فيكون بعيداً عن الرياء والعجب وقريباً من قصد التقرب إلى الله ، مع الاعتقاد بالرجوع إلى الله سبحانه للحساب ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾، ونتيجة ذلك ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ وهو التوفيق الإلهي لأعمال صالحة أخرى وهو لون من ألوان الجزاء، يقابله الخذلان الذي يصيب المجموعة الثانية ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ والتي أمسكت يدها من العطاء طلباً للغنى ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾، وأضاف إلى ذلك التكذيب بالمعاد ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾، وأما أمواله الكثيرة التي كان حريصاً عليها فإنها لا تنفعه إذا هلك ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾.

إعجاز القرآن

القسم الخامس

العلّامة الشيخ محمد حسن آل ياسين (رحمه الله)

على الرغم من كون القرآن معجزةً بأسلوبه البليغ المتناهي في البلاغة، وبيانه الفصيح الذي لا يستطيع البشر الإتيان بمثله، فإنَّ هناك جوانب أخرى لأعجازه لا تقل عن هذا الجانب مطلقاً، ولعل من أبرزها وأكثرها الفاتاً للنظر، ودلالة على المطلوب، ما أودع الله تعالى فيه من أنواع المعارف وأسرار العلوم وخفايا الحقائق الكونية، ما لا سبيل إلى احتمال كونه صادراً من بشر عاش تلك الفترة من الزمن، ولم يكن أمامه من سبيل لإدراك مثل هذه الأمور.

ومع إقرارنا بأنَّ القرآن الكريم كتاب دين وعقيدة وتشريع، وليس كتاب فلك أو كيمياء أو فيزياء، فإننا نشاهد عَرَضاً في غير واحدة من آياته أخباراً دقيقة عن كثيرٍ من سنن الكون ومسائل الطبيعة، مما لا يمكن العلم به في تلك العصور إلا من طريق الوحي الإلهي.

وقد أخذ القرآن بأسلوب حكيم جداً في إخباره عن هذه الأسرار، فصرّح ببعضها حيث يحسن التصريح، وأشار إلى بعضها حيث تكون الإشارة أولى، لأنَّ بعض تلك الحقائق مما يستعصي فهمه على عقول الناس يومئذ، فكان من الحكمة أنْ يشير إليها إشارة تتضح لأهل العصور المقبلة حينما يتقدَّم العلم وتنجلي الحقائق، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿الذي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً﴾، فإنَّ هذه الآية الشريفة تشير إلى حركة الأرض إشارةً لم تُفْهَم إلا بعد قرون، وقد استعارت كلمة (المهد) تعبيراً عن الاهتزاز والحركة، وإنما أشار القرآن إلى هذه الحقيقة إشارة غامضة ولم يصرّح بها، لأنَّ الناس كانوا يرون في سكون الأرض أمراً بديهياً لا يقبل المناقشة والجدل، بل كان القول بالحركة في نظرهم مساوقاً للخرافة أو الاستحالة.

وإننا إذ نورد فيما يأتي نماذج من تلك الحقائق العلمية التي ذكرها القرآن الكريم تصريحاً تارة وتلميحاً تارة أخرى، نحيل طالبي التفاصيل إلى الكتب المعنيّة بهذا الموضوع –وهي كثيرة نسبياً والحمد لله–، وكُلُّ غرضنا –هنا– أن نعرض بعض الأمثلة والشواهد استطراداً في الحديث وإتماماً لسياق البحث:

فمن تلك الإشارات العليمة ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ حيث ثبت بالتجربة وبعد أن طار الإنسان وحلّق على ارتفاعات مختلفة: إن الصعود في الجو والتعرض لطبقاته العليا يصحبه حتماً ضيق الصدر حتى تصل الحال إلى درجة الاختناق على أبعادٍ تقل فيها كمية الأوكسجين[1].

ومن تلك الإشارات العلمية أيضاً قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ ويقول العلم الحديث: أن التلقيح نوعان: ذاتي يلقّح به النبات نفسه، وخَلْطِي بواسطة انتقال حبوب اللقاح من نبتةٍ إلى بويضات نبتة أخرى، ولا بد من وجود وسائل تقوم بنقل حبوب اللقاح، وربما كان ذلك لمسافات بعيدة جداً، وأهمُّ هذه الوسائل هي الرياح. بل أن هناك أنواعاً من تلك النباتات التي يحتّم تركيبها أن تُلَقَّحَ خليطاً لا يمكن تلقيحها بغير واسطة الرياح[2].

المصدر: مجلة البلاغ ، العدد ٨، السنة٢، رمضان ١٣٨٨هـ ص٨٨-٨٩.

١- الله يتجلى في عصره العلم: ١٦٦.

٢- القرآن الكريم والعلوم الحديثة: ٨١-٨٥.

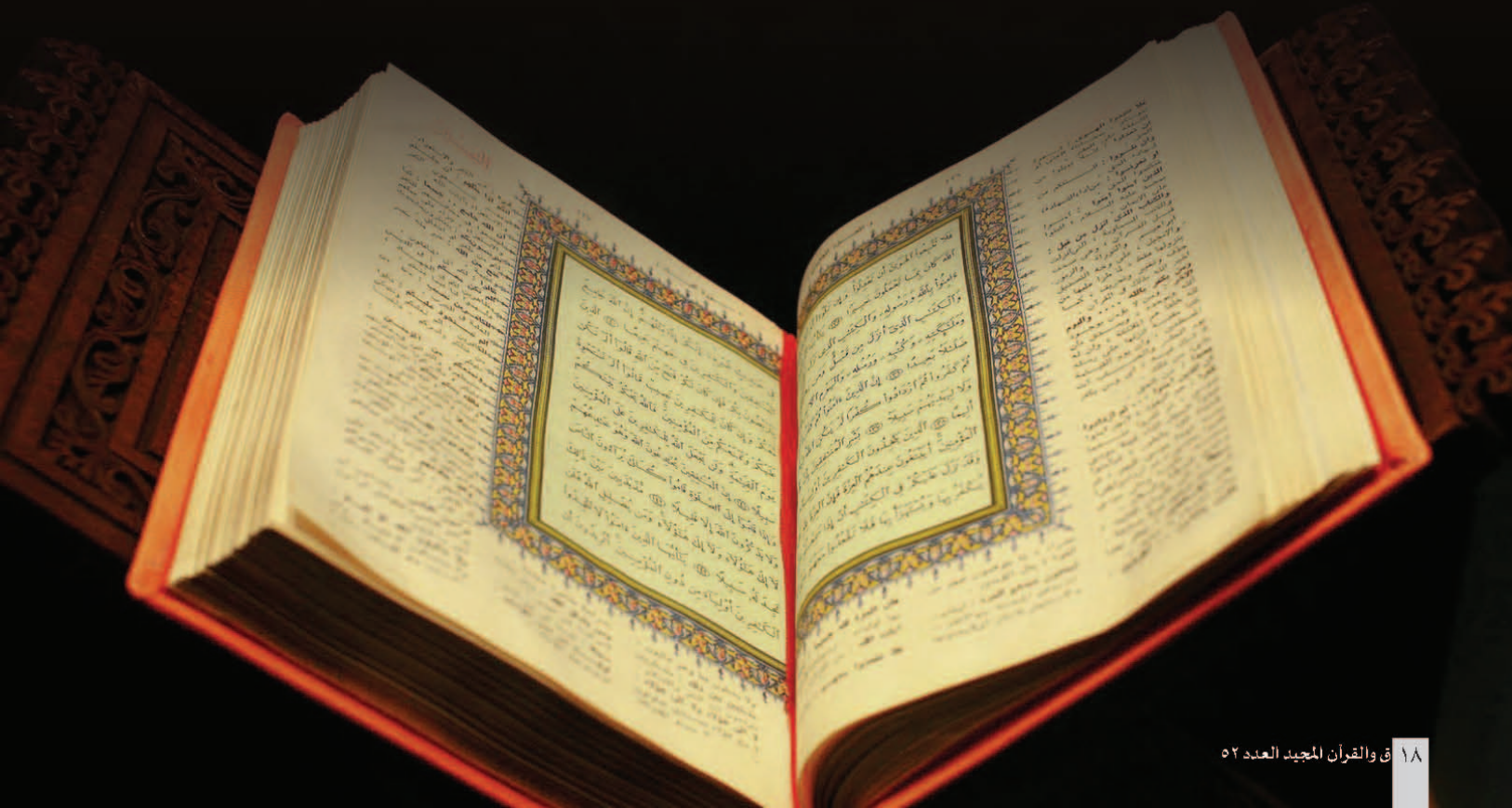

منازل هارون عليه السلام

(وَواعَدْنا مُوسى ثَلاثينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْناها بِعَشْرٍ فَتَمَّ ميقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعينَ لَيْلَةً وَقالَ مُوسى لِأَخيهِ هارُونَ اخْلُفْني في قَوْمي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبيلَ الْمُفْسِدينَ)[1].

أكثر القرآن الكريم من ذكر قصة موسى الكليم عليه السلام ومعاناته مع بني إسرائيل، ليكون أسوة وقدوة لكل داعٍ إلى الله سبحانه يلاقي مصاعب. وطريق الدعوة إلى سبيلهِ محفوف بالمتاعب والمصاعب، خصوصاً إذا كان المدعو من أهل العناد والمكابرة، أو من ترسّخت رواسب الجاهلية في نفسه. والقرآن يتحدث عن غياب الكليم عليه السلام عن قومه ولمدة بسيطة لتلقي التوراة، فيحدث بعده انقلاب على الأعقاب، والآية تشير إلى الميعاد الإلهي (الوقت أو المكان المحدد) لتسلّم ألواح التوراة والنص على خلافة الخليفة الشرعي وتوصيته للإصلاح ونهيه عن إتباع طريق المفسدين، مما يشعر أنهم موجودون بين صفوف بني إسرائيل. والقرآن حدثنا عن رمز من رموزهم (السامري) الذي حول بني إسرائيل – لعدم التزامهم بالخليفة الشرعي- من عبادة الله سبحانه إلى عبادة العجل. والوعد الإلهي بدأ (واعَدْنا مُوسى ثَلاثينَ لَيْلَةً) بإفراد الليل بالذكر رغم أن الوعد ثلاثين يوماً نهارها وليلها لأن الليل أدعى إلى التقرب إلى الله تعالى والخلوة به وذكره وعدم تشتت الفكر وتهيئة النفس لتلقي الفضل والفيض الإلهي.

وحصل تمديد للوعد الإلهي فزاد إلى الليلة الأربعين (وَأَتْمَمْناها بِعَشْرٍ) وقد نص المفسرون أنها العشر الأولى من شهر ذي الحجة ونهايته بعيد الأضحى المبارك (يوم النحر)، وعلى ذلك تكون الليالي الثلاثين هي شهر ذي القعدة. وبهذا التمديد حصل إتمام الميقات الإلهي (فَتَمَّ ميقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعينَ لَيْلَةً). والميقات هو الوعد المضروب للقيام بعمل معين ويطلق على زمان العمل مثل ما موجود في الآية، ويطلق تارة أخرى على مكان العمل مثل مواقيت الحج. ولا يهمنا الوقوف على سبب التمديد بعد معرفة أنّ أفعال الله سبحانه لا تخلو من غاية وإن كنّا نجهلها، والآية في نصفها الثاني تتحدث أنّ الكليم عليه السلام لم يذهب إلى الميقات إلا وقد استخلف بعده من يقود بني إسرائيل وأوصاه ونهاه؛ وهذه سيرة عقلائية - لم يشذّ عنها الأنبياء عليهم السلام- ، وهذه السيرة أنّ قائد الأمة عندما يغيب ولو غيبة قصيرة فعليه أن يخلف من يقوم بمقامه. والملاحظ أن الخليفة معين من قبل الرسول ولا مجال لرأي الأمة في ذلك: (وَقالَ مُوسى لِأَخيهِ هارُونَ اخْلُفْني في قَوْمي)، والمتمعن في القرآن يجد أنّ الكليم عليه السلام طلب بعض المقامات لأخيه من الله سبحانه وتعالى: (وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي* هَارُونَ أَخِي* اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي* وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي)[2]، وفي موضع آخر اعتبر القرآن جعل الوزارة فعلاً إلهياً كإيتاء الكتاب: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا)[3]، فهارون عليه السلام هو شريك موسى عليه السلام بالرسالة وشادّ أزره ووزيره وأخوه بالأخوة الخاصة وخليفته. كلّ هذا يفسر لنا الحديث النبوي لعلي الذي رواه جميع المسلمين (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)[4]، فهو يعطي كل مقامات هارون عليه السلام إلى أمير المؤمنين عليه السلام باستثناء النبوة. والمتتبع لكتب الأحاديث يرى تكرار النبي صلى الله عليه وآله لهذا الحديث في ستة مواضع تختلف زماناً ومكاناً وظرفاً، مما يدل على العموم فيه فلا يحصر بواقعة واحدة (غزوة تبوك مثلاً). أما كون ذلك يستوجب إمامان في زمان واحد، فيجاب عنه بأنّ القائد الثاني يتحرك ضمن سلطان الأول مساعداً له وشريكاً وخليفة إذا غاب أو مات، وموت هارون عليه السلام قبل موسى عليه السلام لا يضرّ فإن الاستثناء (إلاّ أنه لا نبي بعدي) يدل على استمرار هذه المقامات حتى بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله فلذلك استثنى النبوة.

١- سورة الاعراف، الآية ١٤٢.

٢- سورة طه، الايات ٢٩-٣٢.

٣- سورة الفرقان، الآية ٣٥.

٤- صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، ٧/١٢٠.

خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله
بعدد نقباء بني إسرائيل

الشيخ محمد صنيد الحسين المالكي

من الآيات التي تصدت تأويلاً لعدد الأئمة المعصومين عليهم السلام هذه الآية المباركة: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾[1]. فهناك أحاديث متعددة قد بحثت ما يتعلق بهذه الآية، فهي بلا شك فيها دلالة واضحة على أفضلية الأئمة عليهم السلام على سائر الناس، كما أنه يدلّ على أنهم تُحمّل الصعاب والمتاعب، حيث فُضّلوا على الآخرين، فقد روي عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في حديث: (معاشر الناس من سرّه أن يقتدي بي فعليه أنْ يتولّى ولاية علي بن أبي طالب والأئمة من ذريتي، فإنّهم خزان علمي، فقام جابر بن عبد الله الأنصاري فقال: يا رسول الله ما عدّة الأئمة؟ قال: يا جابر سألتني رحمك الله عن الإسلام بأجمعه، عدّتهم عدّة الشهور إلى أنْ قال: وعدّة نقباء بني إسرائيل قال الله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾، فالأئمة يا جابر اثنا عشر إماماً، أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم القائم)[2]. ومن مصادر العامة روي عن عبابة بن ربعي عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله أنا سيد النبيين وعليٌّ سيد الوصيين، وإنّ أوصيائي بعدي اثنا عشر، أولهم علي وآخرهم القائم المهدي)[3]. وروي عن جابر بن سمرة، قال: (سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: يكون اثنا عشر أميراً، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال: كلّهم من قريش)[4]. قال البحوي: هذا حديث متفق على صحته، وروي الحديث عن طرق أخرى أيضاً، والصحيح هذا الحديث واعتباره بين المحدثين فإن العلماء من العامة بعصرنا، لكن كانت أقوالهم في هذه المسألة، واختلفت آراؤهم اختلافاً عظيماً، وتضاربت تضارباً شديداً، ومع كثرة تلك الأقوال لا نجد فيها قولاً خالياً من الخدش والخلل[5]. والخلل والاختلاف يكمن في أسماء العلماء الاثني عشر، والأكثر على أنّ العلماء الأربع الأوائل هم من العدد، والباقون وهم ثمانية صاروا محل الاختلاف ولتعارض الآراء[6]. وعلى أي حال فالمتابعة لأئمتنا وطبقاً لتوضيح الرسول الهادي صلى الله عليه وآله فبعد نبينا خليفته أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ثم الأئمة من ولده عليهم السلام، ابتداء بالسبطين الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام ثم الباقي لصحة من ولد الإمام الحسين عليه السلام كما في النصوص الكثيرة والتي تقدم بعض منها.

١- سورة المائدة، الآية ١٢.

٢- غاية المرام، السيد هاشم البحراني، ص ٢٤٤.

٣- ينابيع المودة، القندوزي الحنفي، ج٣، ص ٢٩١.

٤- صحيح البخاري، البخاري، ج٦، ص ٢٦٤٠.

٥- مسائل خلافية حارفها أهل السنة، الشيخ علي آل محسن، ص ١٢.

٦- المصدر نفسه.

أخذ الميثاق
ورفع الطور

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1]. تشير الآيتان وتبعاً للسياق إلى تذكير الله تعالى لليهود بِنِعَمِهِ العظيمة واحتجاجه بها، كما وتشير أيضاً إلى أخلاقهم الذميمة، ويعتبر نقض الميثاق (وهو العهد المؤكد) وأحداً من تلك الرذائل التي انطوت عليها نفوس بني إسرائيل، والطّور: هو الجبل الذي كلّم الله تعالى عليه النبيّ موسى عليه السلام. وذُكر في معنى رفْع الجبل أنّ الله أمر جبرائيل برفع الجبل فوقهم كي يؤمنوا، وقال لهم موسى عليه السلام: إن قبلتم، وإلا ألقي عليكم، فكان إكراهاً لهم وإرعابًا[2]. فإنْ قيل إنّ في ذلك إجباراً وقهراً على الإيمان، فالجواب عنه قوله سبحانه: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[4]. وعليه فإنَّ الآية لا تدل على أزيد من الإخافة والإرهاب فقط، ولو كان مجرد رفع الجبل فوق بني إسرائيل إكراهًا لهم على الإيمان أو العمل لكان أغلب معجزات موسى عليه السلام موجبة للإكراه[5]،

١- سورة البقرة، الآيتان ٦٣ - ٦٤.

٢- الكشاف عن غوامض حقائق التنزيل، الزمخشري، ج١، ص ١٤٧.

٣- سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

٤- سورة يونس، الآية ٩٩.

٥- الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، ج١، ص ١٩٨.

وهذا باطل عقلًا وشرعًا. والمراد بالذِّكر هو الحفظ وذلك بالعمل وتطبيق الأحكام لا مجرّد الذكْر اللساني: فإنه لا ينفع ما لم يكن مقروناً بالعمل كما في الروايات المستفيضة، والدليل على ذلك قوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾؛ لأن التقوى لا تترتّب إلا على العمل لا على مجرد التلاوة[6].

و(في موثقة البرقي سئل أبو عبد اللّه الصادق عليه السلام أقوة الأبدان أو قوة القلب؟ قال: فيهما جميعًا)[7]. وعن العياشي عن الصادق عليه السلام نحو ذلك، أي لا تَهنوا في أبدانكم وقلوبكم عن أخذ ما في التوراة، ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ أي في التوراة ولا تنسوه، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي لأجل أن تتقوا اللّه وجيء بـ(لعلّ) في مقام الغاية؛ لأن حصول التقوى منهم غير لازم بل هو راجع إلى حسن اختيارهم، ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ التولّي: الاستدبار واستعمل هنا كناية عن الإعراض عما أُخِذ عليهم من الميثاق مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ الأخذ للميثاق. فَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ. بقبول التوبة لَكُنْتُمْ مِنَ الْخاسِرِينَ الذين ذهب رأس مالهم، كُنّي بالخسران عن هلكتهم بالضلال[8].

٦- مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى السبزواري، ج١، ص ٢٧٧.

٧- آلاء الرحمن في تفسير القرآن، الشيخ محمد جواد البلاغي، ج١، ص ١٠٠.

٨- ينظر: المصدر نفسه ج١ ص٩٩.

بضاعة المفلسين

غفران كامل

لا يغيب عن الأذهان أنّ الإنسان مخلوق يلازمه النقصان في أغلب الأحيان، سيما إذا لم يُحكّم عقله ولم يستثمر علمه. وقبل هذا وذاك لم ينظر بعين البصيرة قبل البصر للقواعد التي أرساها الشارع المقدس، ولم يتجاوز عما هو مرسومٌ له شرعاً. فمن المعقول أنْ لا يبني الإنسان حاجزاً بينه وبين المواعظ القرآنية، يمنعه من اقتناصها والتنبُّه إليها، واقتفاء أثرها، والعيش تحت ظلالها، والذوبان في معانيها، واستثمارها بشكل كلي، وترجمتها سلوكاً وتجسيدها عملاً. فهي بحق خير معين في حراكه نحو الفلاح الدنيوي والأخروي، وهذا هو عين ما نُؤمنُ به كلّ الإيمان، ونُصِرُّعليه كلّ الإصرار. كون النص القرآني دعا وفي غير ذات مرّة إلى تربية الإنسان تربية سوية، وبناء مجتمع يعيش الدعة والهدوء، وذلك من خلال تحذيره لعموم الأمة من مزالق الآفات الاجتماعية الفجّة. ومن بين تلكم المثالب التي حذر منها تعالى هي الخوض مع الخائضين، وارتياد مجالس البطّالين، فأشدُّ ما يُبتلى به الإنسان هي آفات اللّسان، فهو يُعدُّ أحد الوسائل التي يتطاول بها الإنسان لهتك الحرمة والتعرُّض إلى أعراض الناس بالتجنّي والهتك، فجاءت الوصية القرآنية في ذلكم المضمار بضرورة عدم إطلاق العِنان للّسان ومن دون قيدٍ أو حدٍّ، كونه يلحق صاحبه بنهاية مأساويّة ترجعه القهقرى. وكأنّ القرآن الكريم يُوحي بأنّ الخوض هو من مقدمات الرذيلة، بل هو الشرارة التي تُوقِد الفتنة، والخطاب القرآني في هذا الصّدد جاء نداؤه حافظاً لحرمات الأفراد، وزاجراً عن الخوض في مجالس البطّالين واللغو معهم، مقروناً بترك كبريات فروع الدين المهمة، كترك الصلاة التي هي عمود الدين، فلنلقي النظر ولنطلق الأسماع لقوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ*قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ*وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ*وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾[1]، فما أجمل هذا التعبير القرآني -وكل ما بين الدفتين جميل- الذي قَرّب الصورة للأذهان؛ لأن الخوض هو المرور بمكانٍ ضحل في النهر. وبذاك أطلق القرآن الكريم بهذا التشبيه سهم التعبير الدقيق فأصاب، كون الإنسان الذي يُخالط مجالس البطّالين تتلوث روحه بالقاذورات تماماً، كالذي يلج أو يمرُّ بمستنقع فلابد أنْ يتسخ جسده وملبسه، كما وجاءت الروايات الشريفة والأحاديث المنيفة الواردة عن أهل بيت النبوة عليهم السلام تعاضد وتساند هذا المفهوم القرآني الذي يحذّر من مغبّة تقليد ومجاملة الناس فيما لا ينبغي، أو التقليد الأعمى لسلوكياتٍ غير مقبولة شرعاً ومستهجنة عرفاً، حيث جاء عن الإمام الصادق عليه السلام قوله لرجل من أصحابه: (لا تكونَنّ إمّعة، تقول: أنا مع الناس وأنا كواحد من الناس)[2]. فهنا يحذّر الإمام سائله -وهو توجيه لعموم الأمة أيضاً- من السير وراء كل ناعق يتّهم الناس بغير علم وبينة، وعدم الاغترار بالجوّ السائد أو التأثر بالكثرة، فصاحب المبدأ الحق لا يتأثر بهبّة ريح تهبُّ من هنا أو هناك؛ لأنّ المؤمن راسخ كالجبل أو أشدّ رسوخاً لا تزعزعه العواصف، فالعاقل لا يقول أنا واحد من الناس إنْ أحسنوا أحسنت، وإنْ أخطأوا أخطأت، بل عليه أنْ يكون مع الحق لا سواه، فالحق لا يقاس بالناس بل الناس تقاس بالحق، لذلك يجدربنا ترويض أنفسنا على عدم الخوض مع الخائضين بمصاديقه المتعددة، من قبيل الانتقاص من الناس، أو هتك حرمتهم، أو الاستهزاء بهم، أو التحكُّم عليهم، أو تشويه سمعتهم، أو إهانتهم بقولٍ جارح، أو لفظ مسيء. فمن الضروري صيانة اللسان وإكرامه بترك فضول القول والتطفُّل في الكلام، وتعويده على جميل الكلام والطِّيب، من القول وتجميله بحُسن الحديث، حتى يكون له ذلك عادة، فيكون مجمل ما يصدر عن الإنسان أو كل ما يتفوّه به المرء ذا نفع عام يصيب به ومن خلاله خير الدنيا وسعادة الآخرة، إذ ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق: (وحق اللسان إكرامه عن الخنى، وتعويده الخير، وترك الفضول التي لا فائدة لها، والبر بالناس وحسن القول فيهم)[3].

كذلك وجب على العاقل التوقّي الشديد والحذر الجمّ من أنْ يلتقط سمعه كل ما يصدر عن ألسنة البطّالين من بعض المآثم اللسانية، من قبيل الغيبة والنميمة والفحش والبذاءة والهذر واللغو، فالسمع يستقبل كل ما يطلقه اللسان من أسباب الخير والشر وجميع ألوان مفرداتهما، ومن الخطأ والخطورة أنْ نترك الحبل على الغارب فنطلق العنان لإسماعنا تلتقط كل ما طرقها، هكذا يوصينا جواد العترة الهادية عليه السلام والذي قال مخاطباً لكل مهتمٍّ بشأن تطهير وتنزيه سمعه: (مَنْ أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإنْ كان النّاطق عن الله فقد عبد الله، وإنْ كان النّاطق ينطق عن لسان إبليس فقد عبد إبليس).

مما سلف يمكننا القول: إنّ الظنّ الجميل بالآخرين والكلام الطيب بحقهم خير وسيلة لرضا الرحمن، وكسب قلوب الإخوان، واستمالة أفئدتهم، وبذلك يعمُّ الودُّ ويتجنب المجتمع الهزّات العنيفة التي قد تأتي على أواصر المحبة وروابط الألفة بين أبنائه والتي قد تفكّك عراها، وعندها يغدو الأحباب أعداءً والأقربون بُعداءً -لا سمح الله-.

والجدير ذكره أنّ التّعرُّض للناس بسوء هو خير دليل يدلُّ ويرشد أنّ المقترف لهذه الكبيرة هو إنسان يشعر بالنقص، ومتخلّف عن ركب الناجحين الذين سبقوه بأشواط، فأغلب الدوافع التي تقف وراء الخوض في اللغو والإسفاف هو الحسد والحقد، فضلاً عن الجهل، كما أنه قد يأتي بُغية إشباعِ حاجة شخصيّة بخسة.

١- سورة المدثر، الآيات ٤٢-٤٥.

٢- ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج٣، ص٢٦٢٠.

٣- الخصال، الشيخ الصدوق، ص٥٦٦.

العناصر الأساسية
لإنتاج الصوت اللغوي

كريم الأنصاري

إنَّ هناك عناصر أساسية لها أثر فاعل في إيجاد الصوت وإنتاجه، وهذه العناصر قد تحدث عنها الأعلام في مؤلفاتهم، وذكروا أسبابها وصفاتها، ونحاول في هذه السُّطور أنْ نسلط الضوء على بعض منها، ليكون القارئ على بينة من ذلك، فضلاً عن غيره:

١ـ النَّفَس والصوت

اعلم أنَّ الهواء الخارج من داخل الإنسان إنْ خرج بدفع الطبع يسمى نَفَساً، (بفتح الفاء)، وإذا خرج بالإرادة وعرض له تموّج بتصادم جسمين يسمّى صوتاً[١].

وقد عرّف محمد المرعشي الصوت من جهة أخرى، فقد قال: (اعلم أنَّ النفس الذي هو الهواء الخارج من داخل الإنسان إنْ كان مسموعاً فهو صوت، وإلا فلا)[٢].

١- طاش كبرى زاده، شرح المقدمة الجزرية.

٢- جهد المقل، ص٥.

وقال في مكان آخر (حقيقة الصوت هي النَّفَس المسموع) وتعريف (طاش كبرى) للصوت يعتمد على طبيعة مصدره ومنشئه، فهو عنده النَفس الخارج بالإرادة لا بالطبع، والطبع هنا يقصد به عملية التنفس المشتملة على شهيق وزفير، ويقوم به الإنسان بفطرته لا بإرادته وإن كان بإمكانه التحكم فيها إلى حد ما، وأما تعريف المرعشي فيعتمد على أثر الصوت السمعي وإنْ كان النَّفَسُ مسموعاً فهو صوت، وإلا فلا[٣].

٢ـ الحرف والمقطع، والمخرج والصفة

الحرف من الناحية الصوتية هو صوت معتمد على مقطع محقّق، وهو أنْ يكون اعتماده على جزء معين من أجزاء الحلق واللسان والشفة، أو مقطع مقدّر وهو هواء الفم، إذاً الألف لا معتمد له في شيء من أجزاء الفم بحيث إنه ينقطع في ذلك الجزء[٤].

والمقطع: هو المخرج، قال المرعشي (ومراده من المقطع هو المخرج: لأنَّ الصوت ينقطع في المخرج)[٥].

أما عبد الوهاب القرطبي فقد قال (فالحروف هي مقاطع للصوت الخارج مع النفس ممتداً مستطيلاً فتمنعه عن اتصاله بغايته. فحيثما عرض ذلك المقطع سُمّي حرفاً، وسَمَّى ما يسامته ويحاذيه من الحلق والفم واللسان والشفتين مخرجاً)[٦].

أما المخرج فقد قال أبو عمرو الداني في تعريفه: (ومعنى المخرج أنه الموضع الذي ينشأ فيه الحرف)[٧].

قال أحمد بن الجزري: (وهو عبارة عن الحيز المولّد

٣- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد غانم قدوري، ص١٢٠.

٤- المنح الفكرية، ص٨.

٥- جهد المقل، ص٥.

٦- الموضح في التجويد، ص١٥٠.

٧- التحديد، ص١٦.

للحرف)[٨].

أما الصفة فقد عرّفها طاش كبرى زاده بقوله: (وصفة الحروف كيفية عارضة للحرف عند حصوله في المخرج).

(وتتميز بذلك الحروف المتحدة بعضها عن بعض)[٩].

فصفات الحروف إذن هي كيفيات مصاحبة لتكوُّن الحرف في المخرج، سواء كانت تبين كيفية مرور الهواء في نقطة المخرج أم توضّح عملية نطقية ثانوية تشكل جزءاً مهماً في تكوين الصوت وتميزه عن غيره (ولم يريدوا بالصفة معنى النعت كما أراد النحويون، مثل اسم الفاعل، واسم المفعول، أو ما يرجع إليهما من طريق المعنى نحو (مثل وشبه)[١٠].

٣ـ الجهر والهمس

ظاهرتا الجهر والهمس من الظواهر الصوتية التي لها شأن كبير في تمييز الأصوات اللغوية، وقد حظيت هاتان الظاهرتان بعناية علماء العربية وعلماء التجويد في القديم، كما حظيت بعناية علماء الأصوات المحدثين، وكان لرأي سيبويه في تفسير هاتين الظاهرتين سلطان قاهر على أجيال العلماء، كما كان لآرائه الصوتية الأخرى تأثير مستمر واحترام كبير[١١].

إن من الإنجازات المهمّة لعلم الأصوات الحديث إدراك دور الجهر في عملية التصويت، وذلك بعد اطلاع علماء الأصوات على تشريح الحنجرة وتقدّم وسائل دراسة الأصوات، وفي الحنجرة يمتد الوتران الصوتيان ويسمى الفراغ الكائن بين الوترين بالمزمار.

إنّ فتحة المزمار الكائنة بين الوترين الصوتيين يمكن أن تتّسع وذلك بتجافي الوترين عن بعضهما، ويمكن أنْ تضيق إلى حد كبير وذلك بتضامّ الوترين نحو بعضهما، ويمكن أن تزول وذلك بانطباق الوترين الصوتيين، وهذه هي الأوضاع المؤثّرة في إنتاج الأصوات اللغوية الاتي يتخذها الوتران الصوتيان[١٢].

فالصوت المجهور هو الصوت الذي يتذبذب فيه الوتران الصوتيان حال النطق به، ويحدث ذلك بسبب اقتراب الوترين الصوتيين نحو بعضهما بشكل يسمح للهواء المندفع خلالهما أنْ يفتحهما ويغلقهما بانتظام وبسرعة فائقة ويحدث بسبب ذلك اهتزازات صوتية.

أما الصّوت المهموس فهو الصوت الذي لا يتذبذب فيه الوتران الصوتيان حال النطق به، ويكون ذلك في حالة تجافي الوترين الصوتيين عن بعضهما، وذلك حال مرور الهواء القادم من الرئتين دون أنْ يقابله اعتراض في طريقه عند منطقة الحنجرة، وقد عَرَّف سيبويه المجهور والمهموس في قوله: (فالمجهور حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النَّفسَ أنْ يجري الصوت، وأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النَّفسُ معه.

٤ـ الشدة والرخاوة والتوسط

من الجوانب الأساسية في إنتاج الأصوات اللغوية تحديد درجة انفتاح مخرج الصوت أثناء مرور الهواء به؛ لأنَّ ذلك من العوامل المؤثّرة في تنوُّع الأصوات واختلاف جروسها، وإنَّ علماء الأصوات سواء منهم علماء العربية وعلماء التجويد المتقدمين أو علماء الأصوات يقسّمون الأصوات تبعًا لهذا الاعتبار إلى ثلاثة أقسام[١٣]:

١- الصوت الرخو ويسمّيه المحدثون الاحتكاكي.

٢- الصوت الشّديد ويسمّيه المحدثون الانفجاري.

٣- الصوت المتوسط.

وقد عَرَّف سيبويه (الشديد) بأنه: (الذي يمنع الصوت أن يجري فيه وهو الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والتاء، والدال، والباء) وذلك أنك لو قلت (الحج) ثم مددت صوتك لم يجر به.

ثم عَدَّدَ الحروف الرخوة وقال: (وذلك إذا قلت الطّس، وانقضّ، وأشباه ذلك أجريت فيه الصوت إنْ شئت)[١٤].

قال المرعشي: (إذا علمت هذا فاعلم أنَّ صوت الحرف ونَفَسه إما أنْ يحتبسا بالكلية فيحصل صوت شديد، وهو في الحروف الشديدة، أو لا ينحبس أصلاً بل يجري جريانا كاملاً وهو في الحروف الرخوة، ويتوسطا بين كمال الاحتباس وكمال الجري، وهو في الحروف البينية)[١٥].

ونلاحظ هنا أنَّ المرعشي استخدم كلمة (البينية) مكان (المتوسطة) وهو اتجاه ذهب إليه بعض علماء التجويد، فقد روي عن أبي الفتوح الوفائي (ت ١٠٢٠هـ) الحروف المتوسطة قوله: (وتسمى هذه الحروف البينية)[١٦].

٨- الحواشي المفهمة، ص١١.

٩- شرح المقدمة الجزرية، ص١١.

١٠- المقدمة الجزرية، ص١٠-١١.

١١- الدارسات الصوتية، غانم قدوري، ص١٢٥.

١٢- محمود السعران/ علم اللغة، ص١٤٥،١٤٧.

١٣- الدراسات الصوتية، غانم قدوري، ص١٣٩.

١٤- الكتاب، ص٤/٤٣٥.

١٥- جهد المقل، ص١٢،١٣.

١٦- شرح الدر اليتيم، أحمد فائز الروحي، ص١٠.

إِنَّ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً

القرآن يعطي المعاني الجليلة لأنه مجيد بما يعطي، وكل المعاني التي يطلقها القرآن لا تخلو من فوائد جمة يعتبرها أولو الحكمة ويتدبرها ذوو الألباب

سمير جميل الربيعي

فحينما يتكلم مثلاً عن الأنعام وحقيقة خلقها، وحينما يعطيها هذه المساحة الواسعة من الذكر المتكرر، وينوه عليها في كثير من الآيات، ويحثنا على النظر فيها وينبه على الأدلة المنبعثة منها وينصبها ويدعونا إلى النظر فيها، إنما يريد بذلك أن يبقينا على خط الله سبحانه وتعالى، من هذه الحقائق إن الله قد منّ علينا بأن خلق لنا من الإنعام ما تعود علينا بالفوائد الكثيرة والمنافع المتعددة : ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾[1]، ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[2]، وهذه النعم إنما أفاضها الله علينا من واقع إنعامه، ورازقيته، رحمة بنا وإعانة لنا على مصالحنا وعلينا مقابلتها بالشكر (وجوب شكر المنعم)، ومنها أن الله أوجد ما بين الإنسان والأنعام علاقة تسخيرية قائمة على روح الرحمة والرأفة يمكن أن يستفاد منها الإنسان على وجه الخصوص، إذ من لحاظها تنبعث ملائمة مصالح الخلق وجلب المنافع، وهي وإن كانت كذلك ظاهرياً، باعتبار أن الإنسان يوفر للأنعام مسارحها ومراحها ويوفر لها مأمنها، إلا أنه هو المستفيد الأكبر بدليل قوله تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ﴾[3]، أي يا بني آدم أنا خلقناها لأجلكم ثم سخرناها لمنافعكم ومصالحكم، ثم يعرّج على بيان وتعداد وجوه الانتفاع منها ﴿فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[4]، فمن لحومها طيب ما تأكلون ومن ألبانها سائغ ما تشربون، ومن أصوافها ووبرها وشعورها دفئاً لكم، وعليها ركوبكم ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[5]، وعليها حملكم وترحالكم ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[6]، ومنها جمالكم وزينتكم ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾[7]، فمن جمالها وزينتها لطافة صورها وحسن تركيبها الذي يدركه البصر فتتعلق به النفس، وكذا وداعتها وسلاسة انقيادها فعلى عظمتها وكبر حجمها تنقاد للصبي الصغير ﴿لِتَسْتَوُواْ عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُواْ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُواْ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾[8]، ومن مظاهر جمالها تجاوب أصواتها ثغاءً ورغاءً وجيئتها ورواحها وفي هذا أنس أهلها وفرحة أربابها، وهي أنفس أموالهم لا يفارقونها ولا تفارقهم، ومن جمالها أيضاً كثرتها إذ الكثرة توحي بأن أصحابها ذوي سعة ومال ويسار ووافر نعمة، تجللهم في عيون الناظرين وتكسبهم الجاه والحرمة عند الناس، وهو مبتغاهم ومدعاة فخارهم، هذا وإن كان من متاع الدنيا ، إلا أن الله سبحانه وتعالى قد أذن به ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[9]، وروى ابن ماجة أن النبي ﷺ قال: (الإبل عز لأهلها، والغنم بركة، والخير معقود في نواصي الخيل إلى يوم القيامة)[10]، إذاً فهذه العلاقة على هيئتها تصلح أن تكون سبباً لإلهام الناس شكر الله وتذكر نعمائه في كل وقت ما دامت تلك الأنعام ماثلة حاضرة أمامهم، فيحملهم هذا التذكر على أن يترجموه إلى ذكر يفيض بمعاني الحمد والعرفان، الذي هو من أجلى مظاهر الإيمان، وكذلك يحملنا القرآن حينما ينوه لعجيب خلقها وغريب هيئتها على الاعتبار منها والتفكر فيها والاستدلال من خلالها على قدرة الله وحسن صنعته: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[11]، فالقرآن يريدنا أن نعمل عقولنا في بديع صنع الله من غير جمود أو تحجر ويريدنا أن نرى له قلوبنا وأذهاننا ليكون ذلك أزيد لبصائرنا وأدعى لتسليمنا، إذ أن الإيمان لا يكون إلا بالتسليم والتسليم لا يكون إلا بالعلم ولا يثبت العلم إلا بالاستدلال، وخلاصة القول أن القرآن يدعونا من خلال إثارة شعورنا بالمنافع وإحساسنا بالجمال ومن خلال عرض المحسوس من آيات الله على عقولنا وتتبعها بالفكر، حتى نستدل على وجود الخالق العظيم، قال أمير المؤمنين عليه السلام: (بصنع الله يستدل عليه، وبالعقول تثبت معرفته وبالفكر تثبت حجته، معروف بالدلالات مشهور بالبينات...)، وأن نشكر نعمائه وآلائه وأفضاله علينا، كما أن هناك حقيقة ليست خفية على كل ذي لب لو أمعن النظر فيها، لوجد أن الأنعام بتركيبها وهيئتها ما خلقت إلا على أساس الرحمة والرحمانية، فمنها ما خصه الله ببديع تركيب في عظامها يساعدها على حمل الأثقال إلى بلاد بعيدة، وبطول عنق يساعدها في النهوض بثقيل أحمالها، ويساعدها في السير، وخصها أيضاً بأخفاف تساعد على سيرها فيما لا يقوى على السير فيه ذوات الحوافر والأظلاف فميزها بذلك عمن ما سواها من الحيوان، ومنها ما خلقها مضمرة حسان تجد من الرعي ما يساعدها على زيادة قوتها وحسنها، وهيئة تساعدها على الجري بسرعة كبيرة لقطع المسافات الشاسعة والأسفار الطويلة، فخلقها مصحوبة بالبركات والفوائد، وهذه علامة أخرى على حكمة البارئ ولطفه الدائم.

١- سورة النحل، الآية ٦٦.
٢- سورة النحل، الآية ٥.
٣- سورة النحل، الآية ٥.
٤- سورة النحل، الآية ٨.
٥- سورة النحل، الآية ٧.
٦- سوره النحل، الآية ٦.
٧- سورة الزخرف ، الآية ١٣.
٨- سورة آل عمران، الآية ١٤.
٩- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٦١، ص ١١٠.
١٠- سورة الغاشية، الآية ١٧.

الإمامة
في رحابِ القرآنِ والسُّنَّة

إنّ أهل البيت عليهم السلام على أساس الآيات القرآنية وحديث الثقلين المتواتر نظراء القرآن، والتمسك بأحدهم دون الآخر يعني التخلي عن الاثنين معًا، ويتحقق الدين كاملًا في ضوء التمسك بالآيات القرآنية والروايات، وفي الحقيقة إنّ القرآن والعترة هما عصارة النبوة وسببان في إدامة الرسالة وهداية البشرية حتى يوم القيامة، كما عبّر عنها الشيخ الأملي: (والمسلمون كلهم متيقنون بصدق الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وقد آمنوا به وبربه من خلال القرآن الكريم الذي فاق بلغاء العصور كلها بلاغة، وعجز الناس كلهم عن الإتيان بآية منه. إذن الأمران المشتركان بيننا وبينهم هما خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله نفسه والقرآن الكريم، فإن احتججنا بهما ليس هناك من نقيض لأننا نتفق وإياهم عليهما)[1].

قال الله (جلّ وعلا) في الآية المباركة (إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)، قال بعض المفسّرين: إنّ هاتين الصفتين (منذر) و (هاد) صفتان للرسول صلى الله عليه وآله، فأصل الجملة تكون (أنت منذر وهاد لكلّ قوم)، ولكن هذا التّفسير خلاف الظاهر، لأنّ الواو في جملة (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) تفصل بين جملة إنّما أَنْتَ مُنْذِرٌ، ولو كانت كلمة (هاد) قبل (لِكُلِّ قَوْمٍ) كان المعنى السّابق صحيحًا، ولكن الأمر ليس كذلك. وفي الحقيقة أنّ المنذر مثل العلّة المحدثة، أمّا الهادي فبمنزلة العلّة الباقية، وهذه هي التي تعبّر عنها بالرّسول والإمام، فالرّسول يقوم بتأسيس الشريعة والإمام يقوم بحفظها وحراستها. (ليس من شكّ أنّ الهداية في آيات أخرى مطلقة للرّسول، ولكن بقرينة المنذر في هذه الآية نفهم أنّ المقصود من الهادي هو الشخص الحافظ والحامي للشريعة)[2]. فقد قال الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله: (أنا المنذر وعلي الهادي)، وهناك روايات عديدة تؤكّد ما قلناه سابقًا، مثل:

* تفسير الفخر الرازي مرفوعًا عن ابن عبّاس قال: وضع رسول الله يده على صدره فقال: (أنا المنذر) ثمّ أومأ إلى منكب علي عليه السلام وقال: (أنت الهادي بك يهتدي المهتدون من بعدي)[3].

* ونقله (الحموني) وهو من علماء أهل السنّة المعروفين في كتابه فرائد السمطين عن أبي هريرة قال: (إنّ المراد بالهادي علي ع). و(مير غياث الدين) مؤلّف كتاب (حبيب السيّد)[4] يقول: (قد ثبت بطرق متعدّدة أنّه لمّا نزل قوله تعالى: (إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) قال لعلي: (أنا المنذر وأنت الهادي بك يا علي يهتدي المهتدون من بعدي).

وحين نحتجُّ بخاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله نذكر حادثة غدير خم التي نزلت فيها الآية القرآنية (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)، نرى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخبر الجموع الغفيرة أنّ عليهم الاستعداد لسماع رسالة إلهية جديدة في خطبته، وكان الذين يقفون على مسافة من رسول الله صلى الله عليه وآله لا يستطيعون رؤيته، فصنعوا له منبرًا من أحداج الإبل ليرتقيه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: (الحمد لله ونستعينه ونؤمن به ونتوكّل عليه، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا الذي لا هادي لمن أضلّ، ولا مضلّ لمن هدى، وأشهد أنْ لا إله إلّا الله، وأنّ محمّدًا عبده ورسوله. أمّا بعد.. أيّها الناس قد نبّأني اللطيف الخبير أنّه لم يعمر نبيٌّ إلّا مثل نصف عمر الذي قبله، وإنّي أوشك أن أدعى فأجيب، وإنّي مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟

قالوا: نشهد أنك بلّغت و نصحت وجهدت فجزاك الله خيرًا.

قال: ألستم تشهدون أنْ لا إله إلّا الله، وأنّ محمّدًا عبده ورسوله، وأنّ جنّته حقٌّ، وناره حقٌّ، وأنّ الموت حقٌّ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور؟

قالوا: بلى نشهد بذلك.

قال: اللّهم اشهد، ثمّ قال:

أيّها الناس ألا تسمعون؟ قالوا: نعم.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (... فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين).

فنادى مناد: وما الثقلان، يا رسول الله؟

قال: الثقل الأكبر كتاب الله طرف بيد الله عزّ وجلّ، وطرف بأيديكم فتمسكوا به لا تضلّوا، والآخر الأصغر عترتي، وإنّ اللطيف الخبير نبّأني أنّهما لن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض، فسألت ذلك لهما ربّي، فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا. ثمّ أخذ بيد علي فرفعها حتى رؤي بياض إبطيهما، وعرفه القوم أجمعون.

فقال: أيّها النّاس: مَنْ أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: إنّ الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، (يقولها ثلاث مرات). وفي لفظ الإمام أحمد إمام الحنابلة: (أربع مرات). ثمّ قال: (اللّهم وال من والاه، وعادِ من عاداه، وأحبّ من أحبّه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحقّ معه حيث دار، ألا فليبلّغ الشاهد الغائب).

ثمّ لم يتفرقوا حتى نزل أمين وحي الله بقوله: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا)[5]. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الرّب برسالتي والولاية لعلي من بعدي). فانبرى القوم يهنّئون أمير المؤمنين عليه السلام وممن هنّأه أبو بكر وعمر كلٌّ يقول: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة!

وحديث (إِنّي تارِكٌ فيكُمُ الثَّقَلَيْنِ، أحَدُهُما أكْبَرُ مِنَ الآخَرِ، كِتابُ اللهِ حَبْلٌ مَمْدودٌ مِنَ السَّماءِ إلى الأرْضِ وعِتْرَتي أهلُ بَيتي، وإنَّهُما لَنْ يَفْتَرِقا حتّى يَرِدا عليَّ الحوضَ)[6]. متواتر عند المسلمين قاله النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في خطبة الوداع حين عاد وقومه الذي بلغ عددهم أكثر من مائة ألف نفر[7]، وهو على مقربة من غدير خُمّ، يوصيهم وصيته الأخيرة وهي التمسُّك بكتاب الله وعترته أهل بيته عليهم السلام، وقال إنهما لن يفترقا حتى يردا على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله نفسه عند الحوض وهو حوض الكوثر حيث يسقي وأهل بيته عليهم السلام منه المؤمنين.

فليس ثمّة شك أنّ قلق رسول الله صلى الله عليه وآله في يوم البلاغ الأكبر وهو الغدير، لم يكن لخوف على شخصه وحياته، إنّما كان لما يحتمله من مخالفات المنافقين وقيامهم بوضع العراقيل في طريق المسلمين[8]. وإنّ اختيار الخليفة هو مرحلة انتهاء الرسالة النبوية وابتداء مرحلة الإمامة، ولو لم يتمّ تعيين وضع مستقبل الأمّة الإسلامية، لم تكن لتكتمل الشريعة بدون ذلك ولم يكن ليكتمل الدين، غير أنّ الأحكام المتسرّعة، والتعصّبات المذهبية لبعض الجُهّال قد حالت- مع الأسف- دون وضع الحقائق الخاصّة بهذا الأمر في متناول أيدي المسلمين جميعًا بغير تغطية أو تمويه، ولئلّا يستعينون بالقرآن دون أهل البيت عليهم السلام الذين جعلهم الله (عزوجل) أئمة الهدى وأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرًا، فمن نكر التمسُّك بأهل البيت عليهم السلام فقد وُصف بالكافر بدليل الآية ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[9].

١- تفسير تسليم، آية الله الجوادي الأملي، قم، ١٣٧٩، ج ١، ص١٣٢، ترجمه كاتب المقال هذا عن الفارسية.

٢- يُنظر الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج٧، ص: ٣٤٦.

٣- المصدر نفسه.

٤- المجلّد الثاني صفحة ١٢.

٥- سورة المائدة، الآية: ٣.

٦- مسند أحمد، أحمد بن حنبل، ج٣، ص١٤.

٧- في رواية ٩٠ ألفًا وأخرى ١٢٠ ألفًا.

٨- يُنظر الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج٤، ص: ٨٤.

٩- سورة المائدة، الآية ٦٧.

حماية المرأة في النصوص القرآنية

غَيّر الدين الإسلامي حياة الفرد والمجتمع تغييرًا جذرياً، وأقل ما يمكن القول عنه أنه انتقاله من غياهب الظلمات إلى ساحة النور، إذ أنقذهما من دركات الجاهلية إلى مراتب الإيمان والكمال المبني على أسس عقائدية وفقهية، تناولها بشكل عملي غير تنظيري، يتفق وتَطلُع الفرد لمفردات حماية نفسه من مخاطر معنوية كانت أو مادية، دنيوية أو أخروية

رغد عزيز

وقد شمل المرأة نصيبٌ وافر في هذا التغيير الشامل، إذ عالجت الشريعة الإسلامية الاضطهاد والظلم الواقع عليها أيام الجاهلية وزادت عليه الكثير من الأمور، ويمكننا من خلال القصص والآيات القرآنية أنْ نستشفّ بعض الجوانب التي كانت تعاني فيها المرأة من الظلم والاضطهاد، ولعل من أبرزها النظرة المزرية التي كان ذلك المجتمع الذكوري ينظر بها إلى المرأة لا سيما الإماء منهن، فما هي بالنسبة لهم إلا مخلوق وجد لخدمتهم ولقضاء مستلزماتهم اليومية، ورغباتهم العاطفية، والانصياع لأوامرهم من دون نقاش أو تذمُر، فجاء الخطاب الإلهي ليغيّر هذه النظرة المزرية من خلال أمور عدة:

التكليف الخاص

شمل الدين الإسلامي المرأة في منظومة التكليف الشرعي التي جاءت تفاصيلها على وفق شريعته المقدسة، وقد جاء هذا التكليف على شطرين: الأول هي تلك التكاليف التي تقاسمت موجباتها مع الرجل كالصلاة والحج.. أما الآخر هي التكاليف العينية التي جاءت على وفق الخطاب الخاص بهن من دون الرجال، ومنها على سبيل المثال لا الحصر آية الحجاب والتي قال فيها عز من قائل: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ وإلى قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1]. ومما بينته الآية الكريمة من خلال هذا التكليف أهمية دور المرأة إلى جانب دور الرجل في الحفاظ على عِفّة أفراد المجتمع، وبالتالي خلق مجتمع سليم من مخاطر ونكبات الابتذال والتهتُك.

القيمة الذاتية

حثّ الخطاب القرآني في الآية الكريمة: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2]، على الزواج من الأيامى أي المرأة التي لا بعل لها، كذلك الزواج بالإماء حيث جاء في تفسير هذه الآية أنَّ: (هذا خطاب من الله للمكلفين من الرجال يأمرهم الله تعالى أن يزوّجوا الأيامى اللواتي لهم عليهن ولاية، وأنْ يزوجوا الصالحين من العباد الذين يفعلون الطاعات من المماليك والإماء إذا كانوا ملكاً لهم، والأيامى جمع (أيّم) وهي المرأة التي لا زوج لها سواء كانت بكراً أو ثيباً)[3]. فالآية الكريمة تلفت الانتباه إلى القيمة الإنسانية للفرد التي بموجبها تلغى الفوارق الطبقية والعرقية، إذ لا فرق بين أمة وحرة فالخلق عند الله واحد لا تميز بينهما إلا بالإيمان والتقوى، وما هذه الفروقات الموضوعة إلّا فعل جاهلي وضعه البعض ليسدُّوا به شعورهم بالنقص الذي كوّن لهم الاعتقاد بأنَّ سيادتهم وتسلُطهم على الضعفاء مقياس قوة شخصيتهم ومكانتها المجتمعية.

الحقوق الشخصية

فرض حفظ حقوق الشخصية للمرأة لا سيما الإماء منهن ليس بالهيّن على ذلك المجتمع الجاهلي، الذي كان بعض أفراده يتخذون من الإماء مورداً لكسب الأموال وذلك بإجبارهن على البغاء كما جاء ذلك على لسان الإمام الباقر عليه السلام حيث قال: (كانت العرب وقريش يشترون الإماء، ويجعلون عليهن الضريبة الثقيلة، ويقولون: إذهبن وازنين واكتسبن، فنهاهم الله عز وجل

١- سورة النور، الآية ٣١.

٢- سورة النور، الآية ٣٢.

٣- التبيان في تفسير القرآن: الشيخ الطوسي، ج٧، ص٤٣٢

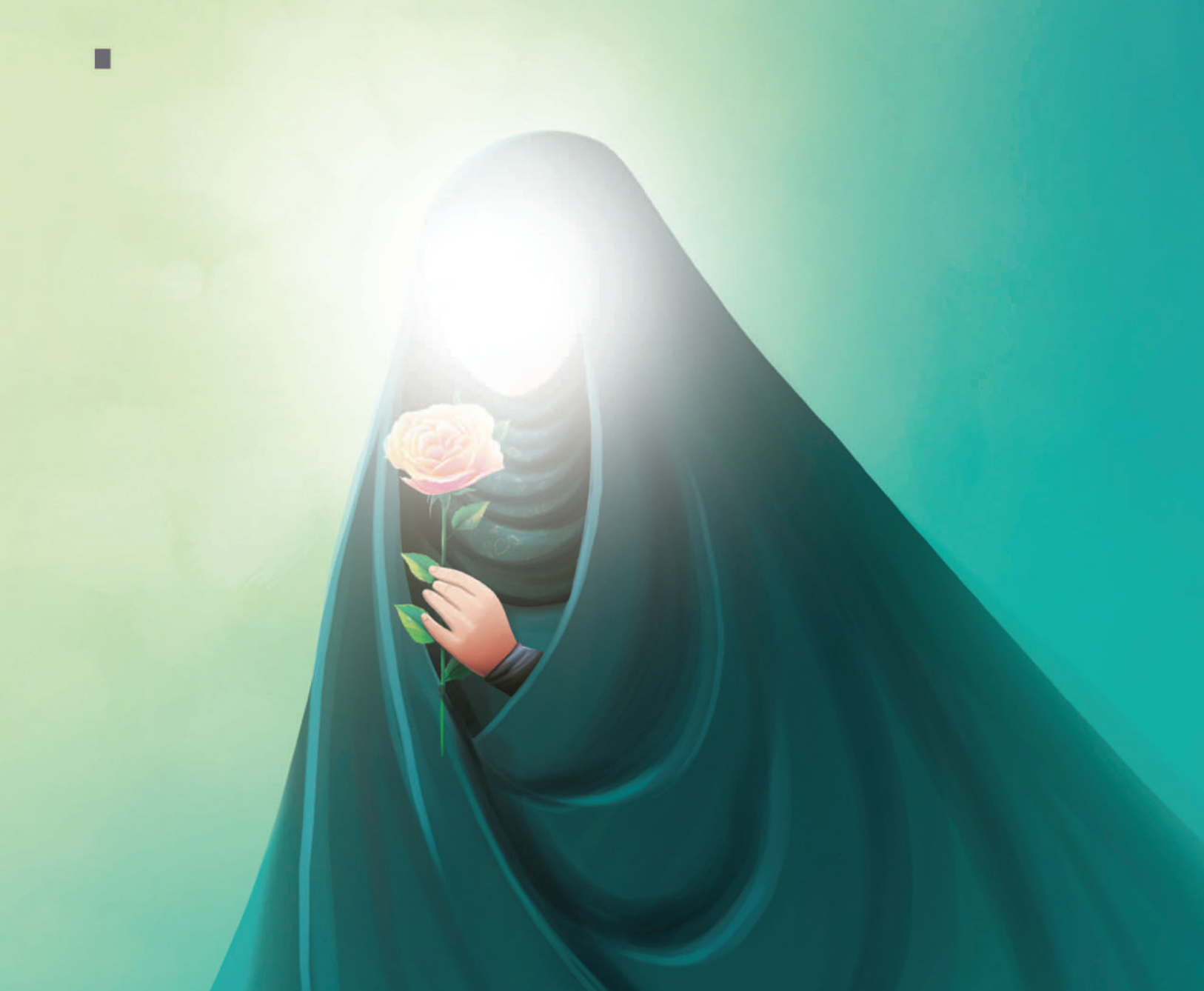

عن ذلك)[4]. إذ (إنَّ الجواري يومئذ لم يكن لهن الاشتغال بكل ما تهواه أنفسهن من الأعمال بما لهن من اتباع أوامر موالهن وخاصّة في الفاحشة والفجور)[5]. ويعني بالضريبة الثقيلة هو ما يشترى به العبد نفسه من سيده شريطة أنْ يسدد تلك الأموال في الوقت الذي حدده العقد الذي أبرم بينهما. وقد ظل بعضهم على ديدنهم هذا على الرغم من تحريم الدين الإسلامي للزنا حيث يذكر أن: (عبد الله بن أبي، كان له ست جوار يكرههن على الكسب بالزنا، فلما نزل تحريم الزنا أتين رسول الله ﷺ، فشكون إليه فنزلت الآية الكريمة: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[6])[7]. لحمايتهن من بطش سيدهن. وقد تعامل النص القرآني معهن تعاملاً حسماً إذ انقسم على شطرين وهما (النهي، والمغفرة)، إذ نهى ساداتهن عن إرغامهن على البغاء الذي يقلل من شأنها ويحطّ من كرامتها، وغفر حصراً لمن أرغمت على هذا الفعل إذ كانت رافضة له تماماً فقد جاء: (عن ابن عباس: وإنما شرط إرادة التحصن، لأن الإكراه لا يتصور إلا عند إرادة التحصن، فإنْ لم ترد المرأة التحصُّن، بغت بالطبع، فهذه فائدة الشرط، (لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) أي: من كسبهن، وبيع أولادهن. قيل: (ومن يكرههن) أي: ومن يجبرهن على الزنا من سادتهن (فإنَّ الله من بعد إكراههن غفور) للمكرهات)[8]. (وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر ﷺ قال: هذه الآية منسوخة نسختها ﴿إِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾)[9].

حفظ الحقوق القانونية

لم يقتصر الأمر على فرض الحقوق الشرعية للمرأة وحفظ هويتها المجتمعية فحسب، بل عمل الدين الإسلامي من خلال الخطاب القرآني على فرض حقوقها القانونية كاملة، ومنها حقها في الإرث والزواج... وإلى جانب ذلك عمل على تجريدها من تلك القوانين التي تعمل على طمس هذه الهوية بتصييرها جزءاً من إرث الرجل، فلا فرق بينها وبين الأثاث والأنعام والأرض، والذي فيه قال المولى عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[11]. وجاء في تفسيرها عن الإمام الكاظم ﷺ فأما قوله: (مَا ظَهَرَ مِنْهَا) يعني الزنا المعلن، ونصب الرايات التي كانت ترفعها الفواجر للفواحش في الجاهلية، وأما قوله عز وجل: (وَمَا بَطَنَ) يعني ما نكح من الآباء؛ لأن الناس كانوا قبل أنْ يبعث النبي ﷺ إذا كان للرجل زوجة ومات عنها تزوجها ابنه من بعده إذا لم تكن أمه، فحرم الله عز وجل ذلك)[12].

هكذا عمل النص القرآني على تغيير الواقع المرير الذي كانت تعيشه المرأة إذ فرض لها الحماية الكافية من بطش الجاهلية وحقق لها المكانة التي طالما كانت تتمناها.

٤- التفسير الصافي: الفيض الكاشاني، ج٣، ص٤٣٤.

٥- الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي، ج٤، ص٢٧٩.

٦- سورة النور: الآية ٣٣.

٧- مجمع البيان في تفسير القرآن: الشيخ الطبرسي، ج٧، ص٢٤٦.

٨- المصدر السابق.

٩- سورة النساء: الآية ٢٥.

١٠- تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي، ج٢، ص١٠٢.

١١- سورة الأعراف: الآية ٣٣.

١٢- مستدرك سفينة البحار: الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ج ٣، ص١٩٦.

الطغيان والاستغناء

قال تعالى:﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾[1] في الآية الكريمة كلمتان هما مركزا الثِّقَل فيها: الطُّغيان، والاستغناء..

الطغيان في اللغة بمعنى تجاوز الحد، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ﴾[2]، وعبّر تعالى عن الفيضان بالطغيان قال تعالى: (فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ)[3]. فتفيد الآية ﴿كَلَّا إن الإنسان لَيَطغَى * أن رَّآهُ استَغنَى﴾ إنّ الإنسان يتجاوز حدود الشرع والعقل والفطرة فيتمرد على خالقه ويخرج عن العبودية لله، ثم يطغى على الناس ويتجاوز عليهم بمجرّد أنه يرى نفسه قد استغنى بتوفّر بعض الأسباب لديه من مال أو قوة أو سلطان، وهو شعور باطل؛ لذا كان تعبير القرآن الكريم دقيقاً كما هو شأنه إذ قال (أن رآه) ولم يقل (أن استغنى) لأن شعوره بالغنى وَهْمٌ، هو يراه إذ لا غني حقيقة إلا الله تعالى وكل الخلق محتاجون إليه، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[4].

وإنّ شعور الاستغناء والطغيان على حدود الله تضع الإنسان في تيه وضياع لا يرى إلا نفسه المتعالية على ربه أولاً وعلى الآخرين، والإمام علي (عليه السلام) يستعيذ بالله تعالى من مداخل الطغيان والاستغناء، فيقول: (استعيذوا بالله من سكرة الغنى فإن له سكرة بعيدة الإفاقة)، نعم إنّ إفاقة الطواغيت عن سكرتهم بعيدة المنال، وهذا يظهر أمامنا كيف يغلف الاستغناء والطغيان أمثال هؤلاء في الجاهلية المعاصرة، حكاما كانوا أو أثرياء أو من ملكوا قوة تبطش بالآخرين، نستعيذ بالله من سكرات الانحراف عن الصراط المستقيم.

١- سورة العلق، الآية ٦-٧.
٢- الحاقة/١١.
٣- الحاقة/٥.
٤- فاطر/١٥.

أبو عمار الشريفي

مفردات قرآنية

الحَنيف: قالت العرب فيه ما يأتي: -

الحَنيف: هو ميل من الشر إلى الخير، ومن الضلال إلى الاستقامة، لذا يقال له تحَنَّفَ الرجل أي تحرّى طريق الاستقامة، لذا قال تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا﴾ وقوله تعالى: ﴿قانتاً لله حنيفا﴾[1].

وقد كان يطلق في الجاهلية على من كان على دين إبراهيم حَنيفاً، قال تعالى: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[2].

علماً أن في الجاهلية وصل الأمر الابتعاد عن روح دين إبراهيم والتمسك فقط بالختان وغسل الجنابة وحج البيت، ويطلق على من يقوم بهذه الإعمال حنيفاً.

لذا تقول العرب تَحنَّف الرجل أي الذي اعتزل عبادة الأصنام، وننوّه هنا بأن العرب تطلق على من في رِجْله ميل بالأحنف.

١- سورة النحل، آية ١٢٠.
٢- سورة البقرة، آية ١٣٥.
* المصدر: معجم البلدان، للحموي، ج٢ ص٣١٢.

تأملات قرآنية

ـ ٤ ـ

روي عن النبي ﷺ: ((مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ))[1].

تأملات في الحديث

١- يدعو الحديث الشريف إلى اللقاء والاجتماع بين المؤمنين وما في ذلك من التواصل والتراحم، وقد وردت في ذلك روايات متعددة.

٢- يدعو الحديث إلى الحث على إتيان المساجد، وإعمارها بتلاوة القرآن الكريم، ومعرفة علومه وحقائقه، وما في ذلك من الثواب العظيم، من دون هجران القرآن والمسجد فيشكو كُلٌّ منها إلى الله تعالى.

٣- الدعوة إلى التلاوة والدراسة مَعًا، فالقراءة ومعرفة بعض المعاني والمفاهيم ودراسته هو حقيقة التدبر القرآني؛ ليكون العمل مطابقًا للعلم به.

٤- في الحديث آثار أربعة عظيمة، يحتاجها كُلُّ إنسانٍ يبحث عن سعادته في الدارين يمكنه الحصول عليها من خلال الاجتماع في المساجد لأجل تلاوة القرآن ودراسته، وهذه الآثار:

أ- السكينة من الله، والإنسان بحاجة إلى مَنْ يعطيه ويدلُّه على سُبُل سكينته وآطمئنانه، وهذا لا يكون من غير اللجوء إلى الله تعالى، كما قال عز وجل: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾[2].

ب – الرحمة من الله، فتلاوة القرآن والتوجه إلى الله تعالى بعدّان من أعظم مصادر الرحمة الإلهية بعباده المؤمنين، وبهما يخرج الإنسان من ظلمات الذنوب والمعاصي والغفلة إلى أنوار الطاعة والتوبة واليقظة، فالله تعالى رحيم بعباده: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[3].

ج - إحاطة الملائكة للإنسان، إنَّ هذه الإحاطة للملائكة دلالة على شدة عناية الله تعالى بهذا الصنف من الناس، وفي ذلك كمال الرحمة الإلهية، فالملائكة لا تحبط إلا لمن كان له مقام رفيع عند الله عز وجل، فيحفظه الله بها وينصره، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[4].

د - ذِكره تعالى لعباده، إنَّ تلاوة كتاب الله تعالى، في بيت الله تعالى، مع عباد الله تعالى، ودراسة علوم كتابه، هي أعظم الذكر لله عز وجل، وقد وعد الذاكرين له بمقام عظيم بلبق به، قال تعالى في بيان صفات عباده المؤمنين ومنزلتهم: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[5]، وقال تعالى وفاء لذكر عبده له: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[6].

فهل هناك أعظم من هذه الرحمة، وفضل أعظم من هذا الفضل الذي أعده الله تعالى للذين يجتمعون في المساجد يتلون القرآن ويتدارسونه بينهم، فهي دعوة إلهية لعباده نحو مائدة رحمته التي أعدّها لعباده في بيوته.. فنسأل الله التوفيق لهذا الفضل العظيم.

١- ميزان الحكمة، محمد الريشهري ج٨ ص٣٣٣٣.

٢- سورة الفتح، الآية٢٦.
٣- سورة الأحزاب، الآية٤٣.
٤- سورة فصلت، الآية٣٠.

٥- سورة الأحزاب، الآية٣٥.
٦- سورة البقرة، الآية١٥٢.

الاستغفار
وأثره في نزول الغيث

سيادة قهرمان

إنَّ طلب الأنام من الله تعالى العون عبر منفذ الإنابة (الاستغفار) أمر يعني نيل عطاياه اللا محدودة، ومن بينها نعمة السقاية في هطول المطر من السماء، وقد أظهر القرآن الكريم فضل الاستغفار في أكثر من موضع، وبيَّن ما للمستغفرين من حظٍ وافر للخيرات.

ولأن أنبياء الله المكرمين عليهم السلام في الأرض والسماء لهم دراية بفيمة مئوية الاستغفار على الأقوام البشرية، فكانوا كثيرا ما يدعون أقوامهم بإنيانه، كما جاء في الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[1]، فهنا نظير دعوة نبي الله نوح عليه السلام في قومه لإزالة غمّة نفص الخيرات أي مشكلة حبس الغيث، حيث جاء في تفسير هذه الآية الكريمة: (يستمر نوح عليه السلام في تبليغه المؤثر لقومه المعاندين العصاة، ويعتمد هذه المرة على عامل الترغيب والتشجيع، وبوعدهم بانفتاح أبواب الرحمة الإلهية من كل جهة إذا ما تابوا من الشرك والخطايا، فيقول: ففلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً، ولا بطهركم من الذنوب فحسب بل، يرسل السماء عليكم مدراراً، والخلاصة: إنَّ الله تعالى يفيض عليكم بأمطار الرحمة المعنوية، وكذلك بالأمطار المادية المباركة، ومن الملاحظ في سياق هذه الآية أنه عز وجل يقول: (يرسل السماء) فالسماء تكاد أنْ تهبط من شدة هطول الأمطار! وبما أنها أمطار رحمة وليست نقمة، فلذا لا تسبب خراباً وأضراراً، بل تبعث على الإعمار والبركة والحياة))[2]، وكلمة (المدرار) تعني في اللغة العربية: (المَطَر الغزير)[3]، وحقيقة إنَّ وفرة المطر وفق منظور الآية الكريمة اقترنت بمفهوم الاستغفار، وورد في هذا الشأن ما جاء عن وصيّ الرسالة المحمدية الإمام علي عليه السلام بقوله في معنى هذه الآية الكريمة: (إنَّ الله تعالى يبتلي عباده عند طول السنين بنقص الثمرات وحبس البركات وإغلاق خزائن الخيرات ليتوب تائب، ويقلع مقلع، ويتذكر متذكر، ويزدجر مزدجر، وقد جعل الله الاستغفار سبباً للرزق ورحمة للخلق فقال سبحانه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾[4]، ومن المشاهد القرآنية الأخرى التي تبيّن وجه المقاربة بين نزول الغيث والاستغفار ما ورد في الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾[5]، حيث جاء في تفسيرها: (هذه الآية عطف على ما قبلها، وفيها حكاية أيضاً عما قال هود لقومه، فإنه ناداهم وقال: «يا قوم استغفروا ربكم» أي اطلبوا منه المغفرة «ثم توبوا إليه» وإنما قدّم الاستغفار قبل التوبة؛ لأنه طلب المغفرة التي هي الغرض، ثم بيّن ما به يُتوصّل إليها هو التوبة، والغرض مقدم في النفس؛ لأن الحاجة إليه ثم السبب، لأنه يحتاج إليه من أجله، وقيل إنَّ (ثم) في الآية بمعنى الواو، كما قال «خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها» وكان جعل الزوج منها قبل جميع البشر وقيل إن المعنى استغفروا ربكم من الوجه الذي يصح)[6].

إذن فما أروع عبارة (استغفر الله) التي يتقرب بها المرء لخالقه، فكما ورد في شأنها العظيم أنها باب للخيرات الدنيوية والرحمة الأخروية إذا ما اقترنت بتوبة نصوح من القلب، وإحكام للعقل عند إتيانها بهدف صلاح العمل وقبوله من المرء، لذا فالمؤمن بفيمة الاستغفار عند الله تعالى سيدرك أنها مفتاح للأرزاق بعد استنباطها، كما جاء عن نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وآله: (من سرّه أن يستنبط الرزق فليستغفر الله)[7].

١- سورة نوح: الآيات ١٠-١١.

٢- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج١٩، ص ٥٤.

٣- كتاب العين: ابي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي، ج٨، ص٣٩.

٤- إرشاد القلوب، الحسن بن محمد الديلمي (مترجم: طبطبائي)، ص١٣٧.

٥- سورة هود: الآية ٥٢.

٦- التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، ج: ٦، ص٧.

٧- عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج٢، ص٥٠.

بُقَعٌ سوداء

زينب حسين

هدوء مطبق وصمت طويل خيَّم على الجلسة، والحاضرون فضّلوا اختيار لغة العيون وإيحاءاتها للتعبير عما يدور في خلجات أنفسهم، إلا أنَّ نظراتي باتت تحلّق بعيداً عَلَّها تقع على شيء مغاير يجذبها.

فقد طافت عيني أرجاء صالة المنزل وراقت لها نظافتها، وترتيب أثاثها، وروعة ألوانها وتناسقها، مما ينم عن ذوق رفيع واختيار مميَّز، إلى أنْ بدأ صديقنا صاحب الدعوة بالترحيب بقدومنا وراح يحدثنا بشغف عن هوايته التي يحبها، وأخذت بمجامع عقله وقلبه، وشغلتْ أغلب وقته، وعرض علينا لوحاته الفنية التي جسّدت مناظر خلاّبة، ورسوم بديعة، خطّتها ريشته بعناية ودقة، وبألوان زاهية ومتداخلة تبهر العيون، إنَّها بحق صورٌ في قمة الجمال والإبداع، استغربنا لكثرة الجهد الذي يبذله لحين الانتهاء من رسمها، وعدد الأيام والليالي التي يقضيها في إتمامها، معبّراً عن مشاعره وانفعالاته، ومدلولات القصة التي تتضمنها كل لوحة من لوحاته بعناية واهتمام، وتوق لهذا الفن، فلم أكن أعلم إنه يمتلك حِسّاً مرهفاً لهذا الحد، وظل مستغرقاً في الحديث وحده كالأستاذ الذي يشرح لطلابه الدرس ويبالغ في توضيحه، والكل مجبرٌ على الإنصات موجّهين عبارات المدح والثناء والإعجاب.

وفي هذه الأثناء سمعت حثيثاً لخطى وطرقاً خفيفاً على الباب أظنها زوجته، فارتسمت على وجهه ملامح الانزعاج؛ لأنه اضطر إلى قطع حديثه المهم، فقال الجميع: وأخيراً لقد حان موعد القهوة.

جلسنا بسكينة نحتسيها ونستمتع بمذاقها الطيّب حتى جاءت اللحظة التي كنا نخافها ونتجنبها بانفجاره المفاجئ، فما أنْ قرَّب فنجان القهوة من شفتيه حتى دلقها وكأنها أقدحت نار شرارته، وظل يصرخ ويعربد كالبركان الهائج، واصفاً زوجته بعبارات كلها جفاء، ولا أعتقد أنَّها تنطبق عليها ويقول: (لقد قلت لها مراراً بأنني لا أحب القهوة شديدة المرارة، إنَّها بحق امرأة مهملة)، والأدهى من ذلك إنه رمى بالقهوة على لوحاته الفنية التي أمامه من دون شعور، وكأنه صوَّب سيلاً من رصاصات الغضب الحارقة نحوها، وأتلفها وشوَّه منظرها ببقع سوداء، مما جعله يفقد صوابه كعادته، ويتلفظ بتلك الألفاظ التي طالما كنا نسمعها منه حين يتشاجر مع أحد منّا، ويضع اللوم على زوجته وجميع الحاضرين، حتى أُفسدت الجلسة عندما انفضضنا من حوله، مغادرين المكان نادمين على قبولنا لدعوته.

وفي اليوم التالي أصبح يشكو لي خسارته لرسوماته، وعلى الرغم من موقفه الجاف معنا في الليلة السابقة وعدم تقديم اعتذاره إلا أنها كانت فرصة سانحة لأهدّأ من روعه، واستثمر ذلك الحادث في تعريفه بخطئه فقلت له: مما لا شك فيه إنَّ لوحاتك كانت غاية في الجمال والإبداع قبل أن تدمّرها بقهوتك أليس كذلك؟

فأجابني: طبعاً وهذا ما يؤلمني جداً، فقلت له: هل تعمَّد أحدٌ ما غيرك على تشويه منظرها بسكب القهوة عليها؟ رَدّ بحزن عميق: لا أحد يتجرّأ على فعل ذلك، فأنا من دلقها بيدي اللعينة هذه، تبسَّمتُ وأجبته: إذن لا أحد غيرك يمكنه إعادة رسمها من جديد، وتأكّد بأنَّها ستغدو أحلى من سابقتها، وكذلك روحك الشفافة وشخصيتك الجميلة وحسَّك الفنيّ المرهف مثل لوحاتك يمكنك تشويهه وطمس معالمه ببقع سوداء من صنيعك، تفسد جماله وتغطي على ملامحه، تتمثل بغضبك المفرط وسوء تعاملك مع الآخرين والذي ينفّرهم منك، وتذكّر قول الله عز وجل: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[1]. وتأكد بأنك تعذّب نفسك بيدك وتقهرها بتصرفاتك لأنَّ: (من ساء خلقه عذَّب نفسه)[2]، كما قال صاحب الخلق الرفيع رسولنا المصطفى ﷺ.

١- سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

٢- غرر الحكم ودرر الكلم، الآمدي، ج١، ص ١٧٨.

إياكَ وسوءَ الظنِّ

ليس غريبا أن تتظافر الآيات القرآنية التي تدعو إلى اجتناب سوء الظن، فالحرص القرآني على استئصال الأورام النفسية وكل ما يعتور القلب من تسوّر خلقي، والحث على كل ما هو جهد من الصفات الخلقية هو من الخصائص التي امتازبها كتاب الله العزيز، وهو من أولويات التربية القرآنية لتهذيب السلوك الإنساني وتطويعه باتجاه كل ما فيه خير وناحية وليس عكس ذلك، فمن مخاطر سوء الظن أنه يتفاقم فلا يتوقف عند حد معين، بل يصل إلى مستوى سوء الظن بالله تعالى وبالناس، ويتحول شيئا فشيئا إلى آفة تبتلع صاحبها بعد أن تتناوشه تلك الصفة السيئة، وتتمكن منه الوساوس والأوهام.

عامر عزيز الأنباري

إنّ الله (عز وجل) يدعونا إلى اجتناب كثير من الظن، لتجنّب صاحبه المحاسبة، فمن مضاعفاته أنه يؤدي إلى الضغينة والعنف والهيجان والتجسس، وتزداد عواقبه السيئة لتصل إلى ظلم الآخرين وشن العدوان عليهم، بقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾[1]، كما أنّ المجتمع الذي ينتشي فيه هذا النوع السيئ من الطباع لا يمكن له أن يعرف الطمأنينة والاستقرار، ولا يتألف أفراده فيما بينهم، حيث تنعدم الثقة فيما بينهم ويسوده القلق والتوتر الدائم وانعدام التفاهم والانسجام، ولا سبيل له للتطور والنمو، بل يكون مشحوناً بالصراع ومدرساً للخراب، ومخاطره تكون على المستويين الفردي والجماعي، فالمرء الذي يكون مدمناً بالظنون السيئة تجاه الآخرين يكون سلوكُ التصرف والسلوك معهم، كما تملي عليه الدوافع العدوانية، ويصبح لديه استعداد دائم للانقضاض عليهم بمجرد أن تسنح له الفرصة للقيام بذلك، ومصلحة المجال لا تتوقع منه تعاملهم بمثلها مضاعفاً أن يقابلوه بالارتياح، وهو ما يؤدي إلى ازدياد الكراهية والأحقاد بين شخصيهم البغيض، والإقدام على الخطأ بلغت بدقة إلى عدم العلاقات الوديّة المنوّرة، داعياً إلى التدمير والقضاء على أسبابها بقوله: (احصد الشر من صدر غيرك، بقلعه من صدرك)[2] في دعوة إنسانية صادقة للتدابير العملي بالابتعاد عن سوء الظن بالآخرين، وكما قلنا فإنّ أقل ما يسببه سوء الظن بالناس هو أنه يزعزع الثقة ويسبب إلصاق التهم الباطلة بالآخرين، وهذا هو الظلم بعينه، ولا بأس أن نضرب مثلاً بسيطاً من حياتنا اليومية، (يذكر أحد الأخوة أنه في أحد الأيام بينما كان يقود مركبته متوجهاً إلى محل عمله وبينما توقف عند إحدى سيطرات التفتيش كانت أمامه سيارة أجرة قد فتحت فيها باب الصندوق الخلفي وكانت محرّاة بالسلال المملوءة بأقراص كبيرة من المعجنات وبمجرد تحرك تلك العجلة لاجتياز السيطرة قام أحد منتسبي السيطرة بوضع أنبوبة عملية التفتيش- واستل إحدى تلك الأقراص الكبيرة، فانتزعها المفتش في الاستخاص وبدأت أتعرض في فزارة نفسه باللص على منتسب السيطرة منهماً إياه بالسرقة وأنا أردد المثل الشعبي (حاميها حراميها) وفورت حربا الحاق بصاحب المركبة وإخباره بذلك، والفعل أصبحت بمحاكاته وأخبرته عبر أني فوجئت بانتسامة صاحب المركبة الذي برّء ساحة مفتش السيطرة وأوضح لي أني كنت واهماً بسوء ظني بالرجل فسائق المركبة هو الذي طلب منه أن يأخذ قرص المعجنات فيوزع للثواب، وانصح لي أني ظالمت الرجل ومن يومها قررت ألا أكون متسرعاً فأسيء الظن بالناس).

لقد جاء نوع الآيات القرآنية في تدرجها لسوء الظن بالطريقة التي تجعل من السرد القصصي لتاريخ الأمم السالفة ومتابعة ما كان يمر به المجتمع الإسلامي في المدينة من أحداث وصراع سبيلاً للنقد والمعالجة، فسوء الظن بدءي لا يتسم به من آمن بالله فهو من خصال الجاهلية من أعمال فرعون وجنوده اللين كفروا بالله، ولم يسلموا بأنّ مآلهم إلى الله، فدفعهم ظلمهم إلى الاستكبار في الأرض فيقول تعالى واصفاً فرعون وجنوده:

(1) سورة الحجرات- الآية ١٢.

(2) من كلام نوح البلاغة، محمد جواد مغنية، ج١، ص٣٥٠.

﴿أَوَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون﴾[٣]، وفي مورد آخر يعطي القرآن مثلاً آخر يحذر به - كي يحذر من لديه البصيرة - عن النصاف سوء العمل والكافرين من أهل الكتاب وهم ينشطون في أموالهم وسوء عليهم، حتى يخربوا بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، ومن هنا يكون المؤمن هو الأولى باجتناب هذه الصفة الذميمة. ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾[٤]. وبتحول النص القرآني إلى مستوى اللم والتفريع لمن يذاب قلبه سوء العمل بالله حينما يتعرض المسلمون إلى محنة الاختبار، وبعندم الواع بينهم ومن المشركين فيكون على أشده في المواجهة فلا يرضى [جل وعلا] لعباده أن يخربوا بيوتهم السنتهم بالله وبما يقضي ويقدر ليهم ﴿لَا خَائِنُوكُمْ فِي مَوْقِفِكُمْ وَمِنْ أَسْتَقْلَ بِمَكْرِهِ وَلَا زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾[٥] فمن ظن بالله الظنون من الأوقات يخرج عن دائرة الإيمان، ويجعل

٢- سورة المنافقون، الآية ٣.

٣- سورة الأحزاب، الآية ٢٠.

٤- سورة الحشر، الآية ٢.

٥- سورة الأحزاب، الآية ١٠.

من نفسه إلى الكفر والنفاق أقرب منه إلى الإيمان، يؤكد هذا قوله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[٧]، وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾[٨]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾[٩] فيهم - أي الكافرون والمنافقون - (يتوهمون أن الله لا ينصر محمدًا وأصحابه، كظنهم في الجاهلية، وقيل: كظن أهل الجاهلية، وهم الكفار) لكذبون بوعد الله ووعيده، فكان ظن المنافقين كظنهم[١٠].

إن إشاعة الظن في - الأعم الأغلب - ليس بتوافر أدلته الدليل الناهت دوما، فالبعض الذي يحصل بتوافر الدلائل المؤكدة هو ما يحظى مسموعا للمرء في بناء رأي صحيح وليس إشاعة الأهواء والميول الدنيوية ومعاوس مشاعلين الحق والإنس، فهي مما لا يدعي من الحق شيئا، يقول سبحانه: ﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾[١١]. ومن هنا يتعين على المرء ألا يحمل من قلبه موطنا لسوء الظن، وأن يتحفظ بها في كتاب الله العزيز من الآيات التي تنهى عن سلبه الطباع الذميمة، وتدعو إلى تنمية الذات والتوكل على الله تعالى في الأمور كلها ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾[١٢]، والابتعاد عن سوء الظن فهو من سمات الكافرين والمنافقين - كما أسلفنا -، والنزود من الأحاديث الشريفة التي الأكرم ﷺ وآل بيته الأطهار عليهم السلام التي تنهى عن مشاعر سلبه الطباع، وتحدد تعامل الفرد المسلم مع الآخرين، بأن يحسن الظن بالناس، وفي الوقت ذاته يكون فهم على حذر، يقول النبي المصطفى ﷺ: «إن الله حرّم من المسلم دمه وعرضه، وأن يظن به السوء»[١٣]، ويدعو أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام إلى الابتعاد عن سوء الظن كونه يؤدي إلى انعدام التآلف والاستقرار الاجتماعي: «من غلب عليه سوء الظن لم يدرك أبدا ومن خالطه سقما»[١٤].

فالآيات المباركة والروايات الشريفة التي تقدمت تبين مشاعر سلبه الصفة الذميمة وآثاره على الفرد والمجتمع، فيجب على الإنسان المؤمن أن يتجنبها.

٦- سورة الأحزاب، الآية ٢٤.

٧- سورة الفتح، الآية ٦.

٨- سورة محمد، الآية ٢٠.

٩- سورة الأحزاب، الآية ١٢.

١٠- مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الطبرسي، ج٧، ص٤٩٠.

١١- سورة النجم، الآية ٢٨.

١٢- سورة الأحزاب، الآية ٤٨.

١٣- الخصال، الصدوق، تحقيق علي أكبر الغفاري، ج١، ص٢١٠.

١٤- موسوعة الإمام علي بن أبي طالب في الكتاب والسنة والتاريخ، محمدي، ص٢١٦.

نبيُّ اللّه يعقوب عليه السلام

القسم الأول

يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله تعالى عليه السلام، وكان يعرف بإسرائيل وهي كلمة عبرية معناها عبد الله كان توأماً مع أخيه عيص، وأمه رفقة بنت بتوئيل أخي إبراهيم الخليل عليه السلام، وكان من أنبياء بني إسرائيل عُرف بالسماحة وحسن الخلق والصبر ورسوخ الإيمان بالله، كثير البكاء حتى صار من جملة بكّائي التأريخ.

كانت نبوته في فلسطين، يجمعه مع نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام وإسحاق وإسماعيل ولوط عليهم السلام زمناً واحداً. خرج من فلسطين متوجهاً إلى العراق ليسكن عند خاله فلبث في العراق عشر سنين وقيل سبع سنين يخدمه على أمل التزوج بابنته (ليا) فأولدت له (فزوتيل، وشمعون، ولاوي، ويهودا، وربالون، ويشج)، وبعد وفاتها تزوج من أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين، ومن جاريتهما (زلفة وبلهة)، وولدت له باقي أولاده، وجميع أولاده ولدوا في العراق إلا بنيامين، ويظهر أنه أقام في العراق مدة عشرين سنة ثم رحل إلى فلسطين مصطحباً أهل بيته وأمواله الكثيرة وفي فلسطين ولد له بنيامين، وهو ابن راحيل وأخو نبي الله يوسف عليه السلام من أمه وأبيه. ثم إن نبي الله يعقوب عليه السلام استقر في أورشليم بعد أن اشتراها من صاحبها ثم أوحي إليه من السماء بأن يبني مذبحاً، فبناه وسماه آيل إسرائيل – أي إله إسرائيل- وهو بيت المقدس وأخذ يخدم فيه، ويسرج قناديله كل يوم، وهو أول من يدخل البيت وآخر من يخرج منه. أما زوجته راحيل فقد فارقت الحياة بعد أن ولدت له بنيامين فدفنها في بيت لحم في فلسطين .

البشرى بنبي الله يعقوب عليه السلام

كان نبي الله إبراهيم عليه السلام محباً لنبي الله لوط عليه السلام، ولما قضى الله تعالى العذاب على قوم لوط، أراد أن يُكرم نبيه إبراهيم عليه السلام، فأرسل رسلاً من الملائكة يبشرونه بغلام ينسبه عذاب قوم لوط، فبشروه بإسحاق ومن بعده يعقوب عليهما السلام، فجاءت البشارة بنبي الله يعقوب عليه السلام قبل أن يولد أبوه إسحاق عليه السلام، وامتدت ذرية خليل الرحمن من يعقوب عليه السلام، ثم إن الله تعالى جعل النبوة في ذرية يعقوب وإسحاق عليهما السلام، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾[1]، وكانت الأسباط من ذرية يعقوب، وكذلك مريم ابنة عمران من ذريته، وكان منه الهداة، فعظم من الخير نصيبه، قال تعالى في أولاده: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ! وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[2]، ويقال: إن آخر من دخل في مضمون الآية الشريفة : ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[3]، آخر أنبياء بني إسرائيل زكريا بن آدن بن مسلم وكان من ذرية يعقوب[4].

سجود نبي الله يعقوب عليه السلام

كما هو معروف أن السجود مختص بالله تعالى فلا سجود لغير الله، ويحكم على السجود للأصنام أو الذوات بالبطلان والخسران، ويأتي السؤال إذا كان السجود لغير الله تعالى باطلاً فلِمَ يأمر الله تعالى الملائكة بالسجود لنبيه آدم عليه السلام، وكذلك سجود نبي الله يعقوب عليه السلام وأولاده لولده يوسف عليه السلام!! وفي الجواب على هذه التساؤلات يمكن أن يقال:

١- إن سجود الملائكة لآدم عليه السلام كان بأمر الله تعالى وطاعة له، وفي الحقيقة أن السجود كان لله تعالى، ونبي الله آدم عليه السلام كان قبلة توجّه إليها الملائكة أثناء سجودهم. وهذا السجود يعبر عن طاعة الملائكة والعبودية لله تعالى.

٢- كان سجود الملائكة تشريفاً لآدم عليه السلام وتعظيما، وبالتالي تعظيماً لله تعالى.

٣- كذلك حال سجود نبي الله يعقوب عليه السلام وأولاده لنبي الله يوسف عليه السلام، فإنه كان قبلة للسجود، والسجود الحقيقي كان لله تعالى شكراً لجمع شمل آل يعقوب.

٤- مشروعية السجود إذا كان بأمر الله تعالى، فيكون ذلك السجود طاعة وعبودية لله تعالى، كما في السجود باتجاه القبلة، فلا يكون لتلك الحجارة أو الباب أو لذلك الفضاء، وإنما امتثالاً لأمره تعالى.

٥- إن الساجدين لنبيّ الله آدم ويوسف عليهما السلام لا يعتقدون بربوبيتهم، وهم على يقين أنهما لا ينفعان ولا يضران، بل هم من الذين أنعم الله عز وجل عليهم وأمر بتعظيمهم، واتخاذهم وسيلة لرضاه تعالى.

١- سورة العنكبوت: الآية ٢٧.

٢- سورة السجدة: الايتين ٢٣، ٢٤.

٣- سورة مريم : الآية ٦.

٤- ينظر المستدرك، الحاكم النيسابوري، ج٢ ص٥٨٩.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

زيّنوا القرآن بأصواتكم فإنَّ الصوت الحَسن يُزيدُ القرآن حُسناً

تقيم دار القرآن الكريم

قسم الشؤون الفكرية والإعلام في العتبة الكاظمية المقدسة

دورة الإمامين الجوادين الثالثة للصوت وتعليم النغم القرآني

بإشراف الأستاذ القارئ عباس المنشداوي

فعلى الراغبين بالمشاركة مراجعة دار القرآن الكريم لتسجيل أسمائهم

شروط المشاركة:

- أن يكون المشارك مُتقناً لأحكام التلاوة.
- يخضع المتقدم للإختبار لغرض قبوله.